روايات عالمية

القصص والروايات القصيرة

إرنست همنجواي

رجال بلا نساء

ترجمة : سمير عزّت نصّار



المجموعة الثانية

2

الأهلية

علي مولا

2

المجموعة الثانية

رجال بلا نساء



الأهلية للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية ، عمّان
وسط البلد ، خلف مطعم القدس
هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ ، فاكس ٤٦٥٧٤٤٥
ص .ب : ٧٧٧٢ عمان/ الأردن

ارنست همنجواي

رجال بلا نساء

ترجمة : سمير عزّت نصّار

الطبعة العربيّة الأولى ، ٢٠٠٣

تصميم الغلاف :

الصف الضوئي : الوسام للخدمات المطبعيّة ، عمّان ، هاتف ٤٦٥٧٨٦٩

روايات عالمية

القصص والروايات القصيرة

إرنست همنجواي

رجال بلا نساء

2

المجموعة الثانية

ترجمة: سمير عزّت نصّار



المحتويات

المجموعة الثانية (إيرنست همنجواي)

رجال بلا نساء

اللامهزوم

ارتقى مـانويل جارسيا الدرج إلى مكتب دون ميجويل ريتانا. وضع حـقـيـبـتـه على الأرض وطرق البـاب. لم يصدر أي جواب. أحسّ مـانويل، وهو يقف في الممر، بأن في الغرفة شخصاً ما. أحسّ بهذا من خلال الباب.

قال، مصغياً: "ريتانا". لم يَصْدر أي جواب.

فكر مانويل: إنه هناك، بلا شك.

قال: "ريتانا"، وخبط على الباب

قال شخص في المكتب: "مَنْ هناك؟"

قال مانويل: "أنا، مانولو".

سأل الصوت: "ماذا تريد؟"

قال مانويل: "أريد أن أعمل".

صلصل شيء في البـاب عدة مرات ودار منفتحاً. دخل مانويل، حاملاً حقيبته.

جلس رجل ضئيل خلف مكتب في الجـانب القصّي من الغـرفة. فـوق رأسـه اسـتـقـرّ رأسُ ثور، حنّطة خبير تحنيط من مدريد؛ على الجـدران علّقت صـور فـوتوجـرافية مؤطرة وملصقات مصارعة ثيران جدارية.

جلس الرجل الضئيل ناظراً إلى مانويل.

قال: "ظننتُ أنهم قتلوك".

طرق مانويل بسلاماته على المكتب. جلس الرجل الضئيل ناظراً إليـه من وراء طاولة المكتب.

سأل ريتـانا: "كم مصارعة ثيران قمتَ بها هذه السنة؟"

أجاب: "واحدة".

سأل الرجل الضئيل: "تلك المرة الوحيدة فقط؟"

ـ"تلك هي".

قـال ريتـانا: "قرأتُ عنهـا في الصـحف". مـال إلى الخلف في كرسيه ونظر إلى مانويل.

رفع مـانويل نظره إلى الثـور المحنّط. لقد رآه كثيراً من قبل. كان يحسّ نحـوه باهتمام عـائلي معينّ. لقـد قتل أخاه، الواعد بمستقبل باهر، قـبل حـوالي تسع سنوات. تذكّر مـانويل ذلك اليـوم. ثُبّتت هناك لوحـة نحـاسـيـة صفراء على قاعدة خشب البلوط التي استقر رأس الثـور عليـهـا. لم يستطع مانويل قراءة اللوحة، لكنه تخيّل أنها في ذكرى أخيه. حسناً، كان ولداً طيباً.

قـالت اللوحـة: "الثـور "ماريبوسا"، مُلْك دوق فيراجوا، تلقى ٩ طعنات رمـــح من على ظهر ٧ خيـــول، وأودى بحياة أنتونيو جـارسياً: مصارع ثيران مستجد: في ٢٧ أبريل ١٩٠٩"

رآه ريتـانا ينظر إلى رأس الثور المحنّط.

قـال: "سـتثير مجموعة الثيران التي أرسلها إليّ الدوق لحفلات يوم الأحـد فـضـيـحـة. كلهـا ضـعـيـفة السيقان. ماذا يقولون عنها في المقهى؟"

قال مانويل: "لا أدري. وصلتُ للتو فقط".

قال ريتانا: "نعم. لا تزال حقيبتك معك".

نظر إلى مانويل، مائلاً إلى الخلف وراء المكتب الضخم.

قال: "إجلس. إخلع طاقيتك".

جلس مانويل؛ طاقيته مخلوعة، وجهه متغيّر. بدا شاحباً، وأضفتْ عليه ضفيرته المدبّسة في الأمام على رأسه حتى لا تظهر تحت الطاقيّة، مظهراً غريباً.

قال ريتانا: "لا تبدو بصحة جيدة".

قال مانويل: "خرجتُ للتو من المستشفى".

قال ريتانا: "سمعتُ أنهم قطعوا ساقك".

قال مانويل: "لا. هي بخير".

انحنى ريتانا إلى الأمام من الجهة الأخرى من المكتب ودفع بصندوق السجائر الخشبيّ نحو مانويل.

قال: "خذ سيجارة".

ـ"شكراً". أشعلها مانويل.

قال، مقدّماً عود الثقاب لريتانا: "دخّن؟"

ـ"لا". لوحّ ريتانا بيده. "أنا لا أدخن أبداً".

راقبه ريتانا وهو يدخّن.

قال: "لِمَ لا تجد عملاً تشغله".

قال مانويل: "لا أريد أن أعمل. أنا مصارع ثيران".

قال ريتانا: "لم يعد يوجد أي مصارعي ثيران".

قال مانويل: "أنا مصارع ثيران".

قال ريتانا: "نعم، حينما تكون هناك".

ضحك مانويل.

جلس ريتانا دون كلام ناظراً إلى مانويل.

عرض ريتانا: "سأضعك في حفلة ليلية إذا أردتَ".

سأل مانويل: "متى؟"

ـ"غداً ليلاً".

قال مانويل: "لا أريد أن أعوّض آخرين". تلك هي الطريقة التي بها قُتل الجميع. تلك هي الطريقة التي بها قُتل سالفادور. طَرَق بعُقَل أصابعه على الطاولة.

قال ريتانا: "هذا كل ما عندي".

اقترح مانويل: "لماذا لا تضعني في الأسبوع القادم".

قال ريتانا: "لن تجذب. كل مَنْ يريدونهم: ليتري وروبيتو ولا توري. أولئك الفتيان جيدون".

قال، يحدوه أمل: "سيأتون ليروني أصرعه".

ـ"لا، لن يأتوا. لم يعودوا يعرفون مَنْ أنت".

قال مانويل: "عندي الكثير من الفن".

قال ريتانا: "أعرض أن أضعك في الغد ليلاً. يمكنك العمل مع الشاب هيرنانديز وتقتل عجلَينْ بعد مقلدي تشارلي تشابلِن".

سأل مانويل: "عِجلا مَنْ؟"

ـ"لا أعرف. أيّ عجول لدينا في الحظائر. ما يرفض البياطرة أن تُستخدَم في النهار".

قال مانويل: "لا أحب أن أعوّض آخرين".

قال ريتانا: "يمكنك قبول العرض أو رفضه". انحنى إلى الأمام فوق الصحف. لم يعد مهتماً. اختفت الذكرى التي أثارها مانويل في نفسه للحظة من الزمن حين فكّر في الأيام الخوالي. ودّ

أن يجعله يعوّض لاريتا لأنه يمكنه أن يستخدمه بسعر رخيص. يمكنه أن يستخدم آخرين بسعر رخيص أيضاً. مع هذا هو يود مساعدته. لقد أتاح له الفرصة. الأمر يرجع إليه.

سأل مانويل: "كم سأتقاضى؟" كان ما يزال يداعب فكرة الرفض. لكنه كان يعرف أنه لا يستطيع الرفض.

قال ريتانا: "مائتين وخمسين بزيتا". فكّر بخمسمائة، لكن، حين فتح فمه، نطق بمائتين وخمسين.

قال مانويل: "إنك تدفع لفيلالتا سبعة آلاف بزيتا".

قال ريتانا: "أنتَ لستَ فيلالتا".

قال مانويل: "أعرف هذا".

قال ريتانا موضّحاً: "إنه يجذب بهذه القيمة يا مونولو".

قال مانويل: "أكيد". نهض واقفاً. "أعطني ثلاثمائة يا ريتانا".

وافق ريتانا. "حسناً". مدّ يده إلى الدرج بحثاً عن ورقه.

سأل مانويل: "هل يمكنني أخذ خمسين الآن؟"

قال ريتانا: "أكيد". أخرج ورقة نقدية من فئة الخمسين بزيتا من محفظة جيبه ووضعها، فردها منبسطة على الطاولة.

التقطها مانويل ودسّها في جيبه.

سأل: "ماذا عن فريق المصارعة؟"

قال ريتانا: "يوجد فتيان يعملون معي ليلاً. لا بأس بهم".

سأل مانويل: "ماذا عن النخّازين؟"

اعترف ريتانا: "ليسوا كثيري العدد".

قال مانويل: "يجب أن أجد نخّازاً ماهراً".

قال ريتانا: "أحضره إذن. إذهب وأحضره".

قال مانويل: "ليس من هذا. لن أدفع لأي فريق مصارعة من الستين دورو".

لم يقل ريتانا شيئاً بل نظر إلى مانويل من وراء المكتب الضخم.

قال مانويل: "أنت تعرف أنه لا بد أن أجد نخّازاً ماهراً".

لم يقل ريتانا شيئاً بل نظر إلى مانويل من مسافة بعيدة.

قال مانويل: "ليس هذا صحيحاً".

كان ريتانا لا يزال يتأمله، مائلاً في كرسيّه إلى الخلف، متأملاً إياه من مسافة بعيدة.

عرض: "هناك النخّازون الدائمون".

قال مانويل: "أعرف. أعرف نخّازيك الدائمين هؤلاء".

لم يبتسم ريتانا. عرف مانويل أن المقابلة انتهتْ.

قال مانويل، مناقشاً الأمر بعقلانية. "كل ما أريده فرصة مناسبة. حين أدخل الحلبة هناك أريد أن أكون قادراً على توجيه ضرباتي إلى الثور. يتطلب الأمر نخّازاً ماهراً واحداً فقط".

كان يتكلم مع رجل لم يعد يستمع إليه.

قال ريتانا: "إذا أردتَ شيئاً آخر، إذهب وأحضره. يوجد فريق مصارعة دائم في الخارج هناك. أحضر العدد الذي تريده من النخّازين. ينتهي عرض تشارلوت في الساعة العاشرة والنصف".

قال مانويل: "حسناً. إذا كانت تلك هي الطريقة التي تراها".

قال ريتانا: "تلك هي الطريقة".

قال مانويل: "سأراك ليلة الغد".

قال ريتانا: "سأكون هناك".

حمل مانويل حقيبته وخرج.

صاح ريتانا: "أغلق الباب".

التفتَ مانويل إلى الخلف. كان ريتانا يجلس منحنياً إلى الأمام ناظراً إلى بعض الصحف. جذب مانويل الباب بشّدة إلى أن طقطق القفل.

هبط الدرج وخرج من الباب إلى سطوع نور الشارع الحار. كان الطقس حاراً جداً في الشارع وكان النور على المباني مفاجئاً لعينيه وقاسياً عليهما. مشى على الجانب المظلل من الشارع المنحدر نحو ساحة بويرتو ديل سول. كان الظل يوحى بالصلابة والنداوة كالماء الجاري. انقضّت عليه الحرارة فجأة وهو يعبر الشوارع المتقاطعة. لم يرَ مانويل أي شخص يعرفه من بين جميع الناس الذين مرّ بهم.

قبل وصوله إلى Puerto del Sol/ بوّابة الشمس تماماً، انعطف داخلاً مقهى.

المقهى هادىء في الداخل. هناك عدد قليل من الرجال يجلسون إلى طاولات ملتصقة بالجدار. كان أربعة رجال يلعبون الورق على طاولة. اتكأ أغلب الرجال على الحائط يدخنون، وأمامهم على الطاولات فناجين قهوة وكؤوس خمرة فارغة. عبر مانويل الغرفة الكبيرة متجهاً إلى غرفة صغيرة في الخلف. كان هناك رجل يجلس إلى طاولة في الركن وقد استغرق في النوم. جلس مانويل إلى إحدى الطاولات.

دخل نادل ووقف أمام طاولة مانويل.

سأله مانويل: "هل رأيتَ زوريتو؟"

أجاب النادل: "كان هنا قبل الغداء. لن يعود قبل الساعة

الخامسة " .

قال مانويل: " أحضر لي بعض القهوة والحليب وجرعة من الشراب العادي " .

عاد النادل إلى الغرفة، حاملاً صينية عليها كأس قهوة كبيرة وكأس خمرة. بينما أمسك بيده اليسرى قنينة براندي. لفّ بها ووضعها على الطاولة فصبّ صبيّ يتبعه القهوةَ والحليب في الكأس من إنائيَنْ لامعَينْ لكل منهما صنبور ومقبض طويل.

خلع مانويل طاقيته، لاحظ النادل ذيل الخنزير المدّبس إلى الأمام على رأسه. غمز لصبيّ المقهى وهو يصبّ البراندي في الكأس الصغيرة إلى جانب قهوة مانويل. نظر صبيّ المقهى إلى وجه مانويل الشاحب بفضول.

سأل النادل، مغلقاً القنينة بالفلينة. "تصارع هنا؟ "

قال مانويل: "نعم. غداً"

وقف النادل مسنداً القنينة على أحد ردفيه.

سأل: " أنتَ في مجموعة تشابلِن؟ "

أشاح صبي المقهى بنظرة بعيداً، مرتبكاً.

ـ" لا، في المصارعة العادية " .

قال النادل: " ظننت أنهم سيستخدمون تشيفيز وهيرنانديز" .

ـ" لا. أنا وشخص آخر " .

ـ"مَنْ؟ تشيفيز أو هيرنانديز؟ "

ـ" هيرنانديز، على ما أظن " .

ـ"ما خطب تشيفيز؟ "

ـ" أصيب " .

ـ "أين سمعتَ بذلك؟ "

ـ " ريتانا " .

نادى النادل في الغرفة المجاورة: "هيه، لوي، تشيفيز أصيب" .

نزع مانويل اللفائف عن قطع السكر وأسقطها في قهوته. حرّكها وشربها حتى الثمالة، حلوة وساخنة، ومُدْفئة في معدته الخاوية. شرب البراندي دفعة واحدة.

قال للنادل: "أعطني جرعة أخرى من تلك" .

رفع النادل الفلينة عن القنينة وصب في الكأس حتى امتلأت، دالقاً بعض الشراب في الطبق. اقترب نادل آخر من الطاولة. كان صبيّ المقهى قد ذهب.

سأل النادل الثاني مانويل: "هل أصيب تشيفيز إصابة خطيرة؟ "

قال مانويل: "لا أدري. لم يقل ريتانا" .

قال النادل الطويل: "كثيراً من جحيم يهمه" . لم يكن مانويل قد رآه من قبل. لا بد أنه قَدِم الآن للتو.

قال النادل الطويل: "إذا كنتَ مع ريتانا في هذه البلدة، أنت رجل مجنون. إذا لم تكن معه، قد تخرج أيضاً من هنا وتطلق النار على نفسك" .

قال النادل الآخر الذي كان قد دخل: "لقد قلتَها. قلتَها إذن" .

قال النادل الطويل: "أنتَ على حق بأنني قلتُها. إنني أعرف ما أتكلم عنه حين أتكلم عن ذلك الطائر" .

قال النادل الأول: "أنظر إلى ما فعله بـ فيلالتا" .

قال النادل الطويل: "ولم يكن ذلك كل شيء. أنظر إلى ما فعله بمارشيال لالاندا. أنظر إلى ما فعله بناسيونال" .

وافق النادل القصير: "لقد قلتُها يا فتى".

نظر مانويل إليهما وهما يقفان أمام الطاولة يتبادلان الحديث. كان قد أكمل كأسه الثانية من البراندي. لقد نسوا كل شيء عنه. لم يكونوا مهتمين به.

تابع النادل الطويل: "أنظر إلى تلك الحفنة من الجِمال. هل رأيتَ هذا الـ ناسيونال II".

قال النادل الأصلي: "رأيتُه الأحد الماضي، أليس كذلك؟"

قال النادل القصير: "إنه زرافة".

قال النادل الطويل: "ماذا قلتُ لكما؟ أولئك هم صبية ريتانا".

قال مانويل: "قُل، أعطني جرعة أخرى من ذلك". كان قد صبّ البراندي الذي دلقه النادل في الطبق إلى كأسه وشربه بينما كانوا يتحدثون.

ملأ النادل الأصلّي كأس مانويل بالبراندي على نحو آلّي، وخرج ثلاثتهم من الغرفة وهم يتحدثون.

في الركن البعيد، كان الرجل ما يزال نائماً، غاطّاً قليلاً عند التقاط أنفاسه وقد أمال رأسه إلى الخلف على الحائط.

شرب مانويل براندِيّه. أحسّ هو نفسه بالنعاس. كان الجو أشد حرارة مما يشجع على الخروج إلى البلدة. إضافة إلى هذا، لا يوجد عمل يقوم به. أراد أن يرى زوريتو. سينام، فيما هو ينتظره. ركل حقيبته تحت الطاولة ليتأكد من أنها هناك. ربما يحسن أن يضعها تحت المقعد، لصق الحائط. مال ودفعها تحت كرسيّه. ثم انحنى إلى الأمام وأنكبّ على الطاولة وأخلد للنوم.

حين استيقظ كان شخص يجلس إلى الجانب الآخر من الطاولة.

كـان رجـلاً ضـخماً له وجـه أسمر كهنديّ. جلس إلى هناك لبعض الوقت. لوّح للنادل بيـده ليبـتـعد وجلس يقرأ صحيفته وينظر من وقت إلى آخـر إلى مـانويل النائم ورأسـه على الطاولة. قـرأ الجـريدة بانهماك مـشكّلاً الحـروف بشـفـتـيـه وهو يقـرأ. حين كـانت القراءة تتـعـبه، كان ينظر إلى مانويل. كان يجلس ثقيلاً على الكرسي، وقد أمال قبعته القرطبية السوداء إلى الأمام.

اعتدل مانويل بجلسته ونظر إليه.

قال: "مرحبا يا زوريتو".

قال الرجل الضخم: "أهلاً يا فتى".

فرك مانويل جبهته بظاهر قبضته: "كنتُ نائماً".

ـ"أظن أنك كنتَ نائماً".

ـ "كيف الأحوال؟"

ـ"جيدة. كيف تسير الأمور معك؟"

ـ"ليستْ جيدة تماماً".

ظـلاّ كـلاهما صـامـتَينْ. نـظر زوريتـو النخّاز إلى وجـه مـانويل الأبيض. خـفض مـانويل أنظاره إلى يديّ النخـاز الضـخمتين وهما تطويان الجريدة ليدسها في جيبه.

قال مانويل: "لديّ خدمة سأطلبها منك يا مانوس".

كـان اسـم مـانـوسدوروس هو اسم التـحـبب لزوريتـو. لم يكن يسـمـعـه إلا ويوجِّه تفكيره إلى يديه الضخمتَينْ. وضعهما أمامه على الطاولة وهو يحسّ بهما.

قال: "لنشرب".

قال مانويل: "أكيد".

حضر النادل وذهب وحضر مرة أخرى. خرج من الغرفة وهو يلتفت إلى الرجلَيْنْ الجالسَيْنَ إلى الطاولة.

وضع زوريتو كأسه على الطاولة وقال: "ما الأمر يا مانولو؟"

سأل مانويل وهو ينظر إلى زوريتو عبر الطاولة. "هل ستقوم بنخز ثورَيْن ليلة الغد؟"

قال زوريتو: "لا. أنا لا أنخز".

نظر مانويل إلى كأسه. كان يتوقع ذلك الجواب؛ وها قد تلقاه الآن. حسناً، لقد تلقاه.

نظر زوريتو إلى يديه: "أنا آسف يا مانويل إنني لا أنخز".

قال مانويل: "ذلك حسن".

قال زوريتو: "لقد شختُ على هذا".

قال مانويل: "طلبتُ منك فقط".

ـ "هل هي الحفلة الليلية غداً؟"

ـ "تلك هي. تصورتُ أنْ لو كان لديّ نخّاز جيد لسارت أموري سيراً حسناً".

ـ "كم تتقاضى؟"

ـ "ثلاثمائة بزيتا".

ـ "أتقاضى أكثر من هذا المبلغ عن النخز".

قال مانويل: "أعرف. ليس لدي حقٌ في أن أطلب منك".

سأل زوريتو: "ما الذي يدفعك للاستمرار في هذا؟ لم لا تقص ضفيرتك يا مانولو".

قال مانويل: "لا أعرف".

قال زوريتو: "يكاد عمرك يصل إلى عمري تماماً".

قال مانويل: "لا أعرف. لابد أن أفعل هذا. لو أمكنني ترتيب الوضع بحيث أتمتع بفترات راحة منتظمة، ذلك كل ما أريده. لا بد أن ألتزم بهذا يا مانوس".

ـ "لا، الأمر ليس كذلك".

ـ "نعم، لا بد. حاولتُ الابتعاد عن هذا".

ـ "أنا أعرف ما تشعر به. لكن هذا غير صحيح. يجب أن تخرج من هذا وتبقى بعيداً عنه".

ـ "لا أستطيع هذا. إضافة إلى أنني ظللتُ أتحسّن في الفترة الأخيرة".

نظر زوريتو إلى وجهه.

ـ "كنتَ في المستشفى".

ـ "لكنني بدأتُ أصبح في أحسن حال حين أصبت".

لم يقل زوريتو شيئاً. أفرغ الكونياك من طبقه في كأسه.

قال مانويل: "قالت الصحف إنهم لم يروا قط إنجازاً أفضل".

نظر زوريتو إليه.

قال مانويل: "أنتَ تعرف أنني حين اتابع أصبح جيداً".

قال النخاز: "أنتَ شخت".

قال مانويل: "لا. أنتَ أكبر مني بعشر سنوات".

ـ "بالنسبة إليّ، الأمر مختلف".

قال مانويل: "لم أشخ".

جلسا صامتَيْنْ، ومانويل يراقب وجه النخّاز.

عرض مانويل: "كنتُ أتمرّس إلى أن أصبتُ".

قال مانويل مؤنّباً: "كان يجب أن تراني يا مانوس".

قـال زوريتو: "لا أريد أن أراك. هذا يثير أعصابي".
ـ"لم ترني مؤخراً".
ـ"رأيتُك كـثيراً".
نظر زوريتو إلى مانويل، متفادياً عينيه.
ـ"يجب أن تتركـها يا مانولو".
قال مانويل: "لا أستطيع. أنا أتحسّن الآن، أخبرك بهذا".
مال زوريتو إلى الأمام، يداه على الطاولة.
ـ"إسـمع. سأقوم بالنخز لأجلك غداً، وإذا لم تتفوق غداً ليلاً، ستتركها. أنظر؟ هل ستفعل ذلك؟"
ـ"أكيد".
مال زوريتو إلى الخلف، وقد خُفف عنه.
قـال: "يجـب أن تـتركـهـا. لا عـمـلَ قـرود. يجـب أن تـقـصّ الضفيرة".
قال مانويل: "لن أتركها. شاهدني. لديّ الشجاعة".
وقف زوريتـو. شعر بالتعب من المجادلة.
قـال: "يجب أن تتركها. سأقصّ ضفيرتك بنفسي".
قال مانويل: "لا، لن تقّصها. لن تتاح لك فرصة".
نادى زوريتو على النادل.
قال زوريتو: "هيا بنا. لنذهب إلى البيت".
مـدَّ مانويل يده تحت المقعد بحثاً عن حقيبته. كان سعيداً. كان يعـرف أن زوريتـو سـينخـز له. كـان أفضل نخّاز على قيد الحياة. أصبح كل شيء سهلاً الآن.
قـال زوريتو: "هيا بنا إلى البيت وسنأكل".

وقف مانويل في ساحة الخيول منتظراً انتهاء عرض تشابلِن/ تشارلوت. وقف زوريتو إلى جانبه. كان المكان الذي يقفان فيه مظلماً. كان الباب العالي المؤدي إلى حلقة الثيران مغلقاً. فوقهما، سمعا صيحة ضحك، ثم صيحة ضحك أخرى. ثم ساد صمت. أحب مانويل رائحة الاصطبلات المحيطة بساحة الخيول. لها رائحة زكية في الظلام. انطلق هدير آخر من الحلبة، ثم تصفيق، تصفيق متطاول، تواصَلَ وتواصل.

سأل زوريتو، ضخماً وهائلاً إلى جانب مانويل في الظلام. "هل رأيتَ هؤلاء الأشخاص من قبل؟"

قال مانويل: "لا".

قال زوريتو: "إنهم مضحكون تماماً". ابتسم لنفسه في الظلام.

دار الباب العالي المزدوج محكم السد المؤدي إلى حلقة الثيران وانفتح ورأى مانويل الحلبة تحت الأنوار القوسيّة الساطعة، والساحة العامة، مظلمةً على طول المنطقة المحيطة بها، ترتفع إلى الأعلى؛ حول حافة الحلبة كان رجلان في ملابس صعاليك يجريان وينحنيان، يتبعهما ثالثٌ في بِزّة خادم فندق ينحني ويلتقط القبعات والعصي المقذوفة على الرمل ويرمي بها لتعود إلى الظلام.

أضاءت الأنوار الكهربائية الساحة.

قال زوريتو: "سأمتطي أحد هذه الأمهار بينما تقوم أنت بجمع الفتيان".

خلفهما، تناهى إليهما صوت صلصلة البغال، خارجةً لتدخل الحلبة وتُربط بالثور الميت.

عاد أفراد فريق المصارعة الذين كانوا يشاهدون العرض الهزلي من الممرات الواقعة بين حاجز الحلبة والمقاعد، عائدين مشياً ثم وقفوا في مجموعة يتحدثون تحت الضوء الكهربائي في الساحة. اقترب فتى حسن المظهر في بدلة فضية وبرتقالية من مانويل وابتسم.

قال: "أنا هيرنانديز". ومدّ يده.

صافحها مانويل.

قال الفتى بمرح: "إنها فيَلَة حقيقية هذه التي لدينا الليلة".

وافق مانويل: "إنها ضخمة بقرون".

قال الفتى: "سحبتَ أسوء مجموعة".

قال مانويل: "هذا حسن. كلما كبر حجمها كلما زاد اللحم للفقراء".

قطّب هيرنانديز. "من أين جئتَ بذلك الشخص؟"

قال مانويل: "ذلك عجوز. صُفّ فريقك حتى أرى مَنْ الذين لديّ".

قال هيرنانديز: "لديك فتيان جيدون". كان مرحاً جداً. صارع مرتَينْ في ليليات من قبل وبدأ يحصل على تابعين في مدريد. كان سعيداً لأن المصارعة ستبدأ خلال دقائق معدودة.

سأل مانويل: "أين النخّازون؟"

قطّب هيرنانديز: "عادوا إلى الحظائر متشاجرين حول مَنْ سيأخذ الخيول الجميلة".

اندفعتْ البغال عبر البوابة. الأسواط تطرقع، والأجراس تجلجل والثور الفتيّ يحفر ثلماً في الرمل.

شكّلوا موكب الدخول حالما دخل الثور.

وقف مانويل وهيرنانديز في المقدمة. كان شباب فريق المصارعة خلفهما، وكاباتهم ملفوفة على أذرعهم. في الخلف، النخّازون الأربعة ممتطين خيولهم، حاملين أعمدة نخز فولاذية الرؤوس منتصبةً في شبه الظلام في الحظيرة.

قال أحد النخّازين: "عجيبٌ ألاّ يمنحنا ريتانا ضوءً كافية لنرى الخيول بها".

أجابه نخّاز آخر: "إنه يعرف أننا سنكون أسعد حالاً إذا نحن لم نلقِ نظرة جيدة جداً على هذه الجلود".

قال النخّاز الأول: "لا يكاد هذا الشيء الذي أركبه يرفعني عن الأرض".

ـ "حسناً، إنها خيول".

ـ "أكيد، هي خيول".

تحدثوا، موقفين خيولهم الهزيلة في الظلام.

لم يقل زوريتو شيئاً. كان لديه الحصان القوي الوحيد من المجموعة. جرّبَه، دائراً به في الحظائر، فأستجاب إلى اللجام والمهمازَيْن. كان قد نزع العصابة عن عينه اليمنى وقطع الخيوط التي ربطت أذنيه وأغلقتهما بإحكام عند القاعدة. كان حصاناً جيداً قوياً، صلب السيقان. كان ذلك كل ما احتاج إليه. اعتزم أن يمتطيه طيلة مدة المصارعة. ظلّ، منذ امتطاه، جالساً في شبه الظلام على السرج المغطىّ الكبير، منتظراً مرور الموكب، ناخزاً طيلة مدة المصارعة في ذهنه. تابع النخّازون الآخرون تبادل الحديث وهم إلى كلا جانبيه. لم يسمعهم.

وقف المصارعان أمام مشاتهما الثلاث وقد التفّتْ كاباتهم حول ذراعيهما الأيسرينْ بنفس الأسلوب. كان مانويل يفكر بالفتيان الثلاثة خلفه. كان ثلاثتهم من مدريد، مثل هيرنانديز، في حوالي التاسعة عشرة من العمر. أعجبه شكل أحدهم وكان غجرياً جداً ومتعالٍ أسمر الوجه. التفتَ.

سأل الغجريَ: "ما اسمك يا فتى؟"

قال الغجري: "فوينتيس".

قال مانويل: "اسم جميل".

ابتسم الغجري، كاشفاً عن أسنانه.

قال مانويل: "خذ الثور وأجرِ به قليلاً حين يخرج".

قال الغجري: "حسناً". كان وجهه رصيناً. بدأ يفكر بما سيفعله.

قال مانويل لهرنانديز: "ها هي تخرج".

ـ "حسناً. لنذهب".

برؤوس مرفوعة متمايلة مع الموسيقى، وأذرعهم اليمنى متأرجحة بحرية، خطوا خارجين، عابرين الحلبة المفروشة بالرمل تحت الأنوار القوسيّة، وفرق المصارعة منتشرة خلفهم، والنخّازون يركبون خيلهم وراءهم، يتبعهم خدم حلبة الثيران والبغال المجلجلة. صفق الجمهور لهرنانديز حين ساروا عبر الحلبة. بغطرسة وتمايل، نظروا إلى الأمام وهم يسيرون.

أحنوا رؤوسهم أمام الرئيس، وتفرّق الموكب إلى مجموعات منفصلة. توجّه مصارعو الثيران إلى الحاجز وغيّروا ستراتهم الثقيلة واستبدلوها بكابات المصارعة الخفيفة. خرجت البغال. هرول

النخّازون مـهـتـزين حول الحلبة، وخرج اثنان منهم من البوابة التي دخلوا منها. كَنَس الخدم الرمل حتى أصبح أملس.

شرب مـانويل كأس مـاء صـبـهّ له أحد وكلاء ريتانا الذي يعمل بوظيـفـة مـديره وحـامل سيفه. حضر هيرنانديز بعد أن أنهى حديثه مع مديره الخاص.

حيّاه مانويل: "لك أتباع طيبون يا فتى".

قال هيرنانديز بسعادة: "إنهم يحبونني".

سأل مانويل رجل ريتانا: "كيف يسير الموكب؟"

قـال حـامل السـيف: "كـزفـاف. رائع. خـرجـتـا كـ جـوزيلتو وبِلمونتي".

مـرّ زورتيـو راكـبـاً حـصـانه كتمثال فارس صخم. سار بحصانه حـتى واجـه حظيرة الثيران في الجانب البعيد من الحلبة التي سيخرج منهـا الثـور. كـان المنظر غريباً تحت النور القوسّي. لقد سبق أن قام بالنخـز تحت شـمس بعد ظهر حارّ مقابل مبالغ كبيرة من المال. إنه لم يحب عـمل النور القوسّي هذا. تمنى أن يبدأوا.

اقترب مانويل منه.

قـال: "انخزه يا مانوس. حوّله إلى الحجم المناسب لي".

بـصق زوريتـو على الأرض: "سأنخـزه يا فـتى، سأجـعله يقـفـز خارجاً من الحلبة".

قال مانويل: "اضغط عليه يا مانوس".

قـال زوريتو: "سأضغط عليه. ما الذي يؤخره؟"

قال مانويل: "ها هو قادم الآن".

جلس زوريتـو هناك مراقباً باب حظيرة الثيران البعيدة، قدماه في

الركـاب، سـاقـاه الكبيرتان في الدرع المكسـو بجلد الغـزال المحـيط بالحـصـان، العنان في يده اليسرى، المنخاز الطويل في يده اليمنى، قـبـعـتـه العـريضـة تغطي عـينيه تماماً لتحجب عنهما الأنوار، مراقباً البـاب البـعـيـد للحظيرة. ارتجفت أذنا حصانه. ربّت زوريتو عليه بيده اليسرى.

انـفـتح باب حظيرة الثيران الأحمر ونظر زوريتـو للحظة إلى الممـر الخـاوي البـعـيـد الواقع في الجـهـة الأخرى من الحلبة. خرج الثور مـندفـعـاً، منزلقـاً على سـيـقـانه الأربع وهو يخرج تحت الأنوار، ثم مـهـاجماً وهو يهرول، مـتحركاً بسلاسة في هرولة سريعة، صامتاً إلاّ حـين يـطلق أنفـاسـه من منخـاريه العـريضين وهو يهاجم، مسروراً لتحرره من الزريبة المعتمة.

في الصف الأول من المقـاعـد، ضَجِراً قليـلاً، مـائلاً إلى الأمـام ليكتب عل الجـدار الاسـمنتي أمام ركبتيه، خطّ ناقد مصارعة الثيران البـديل في صـحيفة الـ **هيرالدو**: "كـامبانيرو، أسود، ٤٢، خرج بسرعة ٩٠ ميلاً في الساعة مع الكثير من الغاز ـ"

لوّح مـانويل بيده، متكئاً على حاجز الحلبة، مراقباً الثور، وهرع الغـجـريّ خـارجاً أيضاً، جارّاً كابه. دار الثور حول نفسه، بأقصى هرولة، وهاجم الكاب، ورأسـه منكّس وذيله مـرتفع عـاليـاً. تحرك الغـجـريّ بخط مـتكسرّ وحين مـرّ بالثـور، لمحـه الثور فترك الكاب ليـهـاجم الرجل. أسرع الغـجـري ووثب فـوق سياج حاجز الحلبة الأحمر حـالما خـبط الثـور بقـرنيه. دفع الثور الحاجز بقرنيه مرتَيْنْ، خابطاً الخشب بعمى.

أشعل ناقد الـ **هيرالدو** سـيـجارة وقذف بعود الثقاب على الثور،

ثم دوّن في كرّاسِ ملاحظاته: "أظهر كامبانييرو، وهو ثور صخم بقرنيْنَ كبيرين يرضيان زبائن الدفع نقداً، ميلاً لتفجير الأرض تحت أقدام المصارعين".

خطا مانويل إلى حيث الرمل الصلب فيما كان الثور يخبط السياج. من زاوية عينه رأى زوريتو ممتطياً الحصان الأبيض قريباً من حاجز الحلبة، على بُعد حوالي ربع المسافة المحيطة بالحلبة يساراً. أمسك مانويل الكاب أمامه تماماً، ممسكاً ثنيةً بكل يد، وصاح على الثور، "هوه! هوه!" التفتَ الثور، بدا كأنه يستجمع قواه ليثب على السياج حين هاجم مندفعاً نحو الكاب، ومانويل يخطو جانباً، دائراً على عقبيه مع هجوم الثور، هزّ الكاب أمام قرنَي الثور تماماً. عند نهاية الكاب، كان يواجه الثور مرة أخرى وقد أمسك بالكاب في نفس الوضع الملتصق بمقدّمة جسمه، ودار حول نفسه ثانية عندما هاجم الثورُ مرة أخرى. في كل مرة دار فيها حول نفسه، انطلق الجمهور صارخاً.

أربع دورات دار مع الثور، رافعاً الكاب حتى انتفخ انتفاخاً كاملاً، وفي كل مرة دافعاً الثور حوله ليهاجم ثانية. بعدئذ، في نهاية الدوران الخامس، أمسك بالكاب على ردفه ودار حول نفسه حتى تأرجح الكاب مثل تنورة راقصة بالية ولّف الثور حول نفسه كحزام، ليخطو متخلصاً منه، تاركاً الثور يواجه زوريتو على الحصان الأبيض، متقدماً وثابتاً، والحصان يواجه الثور وأذناه تشرئبان إلى الأمام، وشفتاه عصبيتان، وزوريتو معتمراً قبعته فوق عينيه ومنحنياً إلى الأمام والعمود الطويل يهتز إلى الخلف والأمام بزاوية حادة تحت ذراعه اليمنى وقد أمسك به من نصفه السفلي

وحدّه الحديديّ المثلث الشكل مواجهاً الثور.

كتب ناقد مصارعي الدرجة الثانية لـ **الهيرالدو**، آخذاً أنفاساً من سيجارته، وعيناه تراقبان الثور: "لقد وضع مانولو، المحارب القديم، تصميم سلسلة مقبولة من الـ فيرونيكات veronica منهياً إياها بـ قَطْع كامل recote ، على أسلوب بِلمونتي، أثارت التصفيق من جماهير الحلبة الدائمين وانتقلنا إلى ثلاثيّ tereio الفرسان" .

أوقف زوريتو حصانه، وهو يقيس المسافة بين الثور ونهاية رمح النخز. فيما هو ينظر، استجمع الثورُ كل ما لديه من قوة وهاجم وعيناه على صدر الحصان. عندما نكس رأسه ليطعن بقرنيه، أغرق زوريتو حدّ المنخاز في حدبة العضل المنتفخة فوق كتف الثور، وقد مالَ بكامل ثقله على عمود المنخاز، وبيده اليسرى جرّ الحصان الأبيض في الهواء، وحوافره الأمامية تتخبط، أداره إلى اليمين وهو يدفع الثور ليمرّ القرنان بأمان تحت بطن الحصان فسقط الحصان مرتجفاً، وذيل الثور يضرب صدره مهاجماً الكاب الذي قدّمه له هيرنانديز.

جرى هيرنانديز جانباً جارّاً الثور بالكاب بعيداً نحو النخّاز الآخر. ثبّته بدورة من الكاب ليواجه الحصان والفارس على نحو كامل وخطا إلى الخلف. حين رأى الثور الحصانَ هاجمه. انزلق رمح النخّاز على ظهره، وحين رفعتْ صدمةُ الهجومَ الحصانَ، كان النخّاز قد ابتعد عن السرج قليلاً، رافعاً رجله اليمنى ومحرراً إياها حين لم يصب هدفه بالرمح، مائلاً إلى الجانب الأيسر ليبقى الحصان بينه وبين الثور. سقط الحصان، مرفوعاً ومبقوراً ومحطماً والثور يدفع قرنيه فيه، دفع النخّاز جزمتَه صادماً الحصان ومتخلصاً منه،

واستقر على الأرض منتظراً أن يقوموا برفعه وإبعاده ثم ايقافه على قدميه.

ترك مانويل الثور يندفع مهاجماً الحصان الساقط، لم يكن متعجلاً، كان النخّاز آمناً؛ إضافة إلى أن هذا الوضع أثار حذر النخّاز. سيصمد مدة أطول في المرة القادمة. نخّازون قذرون! نظر عبر الرمل إلى زوريتو البعيد قليلاً عن حاجز الحلبة، وحصانه جامد، منتظراً.

صاح بالثور: "هوه! تومارا!" ممسكاً بالكاب بكلتا يديه حتى يلفت أنظار الثور. فصل الثور نفسه عن الحصان وهاجم الكاب، وفيما كان مانويل يجري جانباً ممسكاً بالكاب مفروداً على سعته، توقف، ثم دار على عقبيه وجرّ الثور بدَوْرةٍ حادة ليواجه زوريتو.

كتب ناقد الـ **هيرالدو**: "نُخز الكامبانييرو نخزتَيْنْ مقابل موت واحد من الخيول، بينما هيرنانديز ومانولو بعيدَيْن. ضغط زوريتو على الحديد وأظهر بجلاء أنه لم يكن محبّاً للخيل. لقد استعاد المحارب القديم زوريتو بعض فنه القديم بعمود النخز. فن المناورة على نحو ملحوظ -"

صاح الرجل الجالس إلى جانبه: "أوليه! أوليه!" ضاعت الصرخة في هدير صوت الجمهور، وضرب الناقد على ظهره. رفع الناقد نظره ليرى زوريتو تحته مباشرة، مائلاً بجسمه على الحصان، وطول المنخاز كله مرتفع بزاوية حادة تحت إبطه، ممسكاً بالمنخاز من حدّه تقريباً، ملقياً بثقله كله إلى أسفل ليبعد الثور، والثور يدفع ويندفع للوصول إلى الحصان، وزوريتو، بعيداً، فوقه مثبتاً إياه مديراً الحصان حول نفسه ببطء بالضغط حتى أصبح أخيراً في

مأمن منه. عرف زوريتو بأن هذه هي اللحظة التي أصبح فيها الحصان في مأمن من الخطر واللحظة التي يستطيع الثور فيها السير بمحاذاته، فأرخى ضغط فولاذ مقاومته، ومزق حدّ المنخاز الفولاذي المثلث الشكل حدبةَ عضلة كتف الثور حين انطلق متحرراً من الفولاذ ليواجه كاب هيرنانديز المتدلي أمام خطمه. هاجم الكاب بعماء وجرّه الفتى بعيداً إلى داخل الحلبة المكشوفة.

ربّتَ زورتيو على حصانه، ناظراً إلى الثور المهاجم للكاب الذي فرده هيرنانديز نحوه تحت النور الساطع بينما صاح الجمهور.

قال لمانويل: "أترى ذلك الثور؟"

قال مانويل: "كان أعجوبة".

قال زوريتو: "نلتُ منه هذه المرة. أنظر إليه الآن".

في ختام حركة مرور الكاب الملتفّة القريبة جداً من الثور، انزلق الثور وأقعى على ركبه. وقف على أقدامه فوراً، لكن مانويل وزوريتو رأيا من بعيد وعبر الرمل لمعانَ تدفق الدم الضاخ، رقيقاً على سواد كتف الثور.

قال زوريتو: "نلتُ منه هذه المرة".

قال مانويل: "إنه ثور جيد".

قال زوريتو: "لو أتاحوا لي هجمة أخرى، لقتلته".

قال مانويل: "سيغيرون الثالثين علينا".

قال زورتو: "أنظر إليه الآن".

قال مانويل: "لا بد أن أذهب إلى هناك"، وانطلق جارياً نحو جانب الحلبة الآخر، حيث كان سائسو الخيل يقودون حصاناً من لجامه نحو الثور، ضاربين إياه على قوائمه بقضبان حديد

ومحاولين، وقد كوّنوا كلهم موكباً، جّره نحو الثور، الذي وقف منكّساً رأسه، ضارباً الأرض بحوافره غير قادر على اتخاذ قرار بالهجوم.

عبس زوريتو، وهو ممتطٍ جواده، دافعاً إياه نحو المشهد دون أن تفوته أي تفاصيل مما يجري.

أخيراً، هاجم الثور، فركض قادة الخيل في اتجاه حاجز الحلبة، ونخز النخّاز في مكان بعيد من ظهر الثور، وأندفع الثور تحت الحصان، فرفعه ورمى به على ظهره.

راقب زوريتو. خرج سائسو الخيل راكضين، في قمصانهم الحمراء، نحو الحصان ليخلّصوا النخّاز. أخذ النخّاز، الذي أصبح يقف على قدميه الآن، يشتم ويخبط بذراعيه. كان مانويل وهيرنانديز يقفان مستعدين بكابيهما. والثور، الثور الضخم الأسود، مع حصانٍ على ظهره، وحوافره متدلية، واللجام عالق بقرني الثور. ثور أسود مع حصان على ظهره، يتمايل على سيقان قصيرة، يقوّس عنقه ويرفعه ويدفع، مهاجماً، ليزلق الحصان عن ظهره، والحصان ينزلق إلى أسفل. ثم قام الثور بهجوم مندفع على الكاب الذي فرده مانويل له.

أحسّ مانويل بأن الثور أصبح أبطأ حركة الآن. كان ينزف بغزارة. سالت بقعة دم لامعة على خاصرته كلها.

قرّب مانويل الكاب منه مرة أخرى. ها هو قادم، عيناه مفتوحتان، قبيحتان، تراقبان الكاب. خطا مانويل جانباً ورفع ذراعيه، محكماً وضع الكاب أمام الثور ليقوم بحركة فيرونيكا.

أصبح الآن يواجه الثور. نعم، رأسه ينخفض قليلاً إلى أسفل.

كان يتدلى إلى أسفل. ذلك كان زوريتو.

لوّح مانويل بالكاب؛ ها هو قادم؛ خطا جانباً ودار حول نفسه بحركة فيرونيكا أخرى. فكّر: إنه يندفع بهجوم دقيق التسديد جداً. لقد قاتل كفايته، لذلك فهو يراقب الآن. يتحيّن فرصة الآن. ثبّت عينيه عليّ. لكنني أقدّم إليه الكاب دائماً.

هزّ الكاب أمام الثور؛ ها هو قادم؛ خطا جانباً. قريب قرباً رهيباً هذه المرة. لا أريد أن أصارعه على هذه الدرجة من القرب.

كان طرف الكاب مبلّلاً بالدماء في المكان الذي لمس فيه ظهر الثور حين مرّ قربه.

حسناً، ها هي المرة الأخيرة.

قدّم مانويل، مواجهاً الثور ومديراً إياه مع كل هجوم، الكابَ بيديه الاثنتين. نظر الثور إليه. وعينا الثور تراقبان، وقرناه مشرئبان إلى الأمام، نظر إليه، مراقباً.

قال مانويل: "هوه! تورو!" وفيما هو يميل إلى الخلف، لوّح بالكاب إلى الأمام. ها هو قادم. خطا جانباً، ولوّح بالكاب خلف ظهره، ودار حول نفسه، فلاحق الثور دوران الكاب إلاّ أنه لم يصدم شيئاً، وثبّته المرور، وسيطر عليه الكاب. لوّح مانويل بالكاب تحت خطمه بيد واحدة، ليبين للجمهور بأن الثور قد ثُبّت، ثم سار مبتعداً.

لم ينطلق أي تصفيق.

سار مانويل على الرمل نحو حاجز الحلبة، بينما خرج زوريتو من الحلبة على ظهر جواده. دوّى البوق لتغيير المشهد إلى غَرْس الرايات بينما كان مانويل يصارع الثور. لم يلاحظ هذا بصورة

واعـيـة. كـان سـائسـو الخـيل يفـرشـون قماش القّنب على جثتيّ الحـصانين وينثرون نشارة الخشب حولها.

تقّدم مـانويل من الحـاجـز لَشْرب جـرعة ماء. ناوله رجل ريتانا الجرّة المسامية الثقيلة.

كـان فـوينتيس الغجري الطويل يقف ممسكاً برايتين رفيعتين لهما عـصـوان حمروان وقـد اتجـه حدّاهما صنّاريا الشكل إلى الأمام. نظر إلى مانويل.

قال مانويل: "أخرج".

هـرول الـغـجـري خـارجـاً. وضع مـانويل الجـرّة على الأرض، وراقـبه. مسح وجهه بمنديله.

مدّ نـاقـد الـ **هيرالدو** يـده نحـو قنينة الشـمـبـانيـا الدافئة التي استقرت بين قدميه، شرب جرعة، ثم أنهى فقرته.

"ـ لم يُثر مـانولو العـجـوز أي تصـفـيق بسلسلة مـرور بالكاب مبتذلة ثم انتقلنا إلى الثالث من غَرْس الأوتاد".

وحـيـداً في وسط الحلبـة، وقف الثـور وهو مـا يزال مـثبّتاً. تقدّم فـوينتـيس، طويلاً مـشـدود الظهـر، سـائراً نحوه بغطرسة، ذراعاه مـفـرودتان إلى الأمام، وعصوان دقيقتان حمراوان، كل عصا منهما في يد، تمسكهما أصـابعـها، تشيران بحديهما إلى الأمام. مشى فوينتيس إلى الأمـام. خلفـه، منحـرفـاً إلى أحـد الجـانبين، وقف أحد أفراد فريق المشاة بكاب. نظر إليه الثور ولم يعد مثبّتاً.

راقـبتْ عـينا الثـور فـوينتـيس الذي كان يقف الآن ساكناً. مال الآن إلى الخلف، صـارخـاً به. انتزع فوينتيس الرايتين فجذب النور المنعكس على حـواف الفولاذ عينيّ الثور.

ارتـفع ذيله وهاجم.

تقـدّم إلى الأمـام مـبـاشرة، وعـيناه على الرجل. وقف فوينتيس سـاكناً، مـائلاً إلى الخلف، وتشير الرايتـان إلى الأمـام. حالما نكس الثـور رأسـه لغـرس قرنيه، ارتد فوينتيس إلى الخلف، وقد انضمت ذراعـاه إلى بعـضـهما بعـضـاً وارتفـعـتـا، وتلامـستْ يداه، وهبطتْ الرايتـان إلى أسـفل خطَينْ حمراوَيْن، ومائلاً إلى الأمام، دفع الحدَّيْن في كـتف الثـور، مـائلاً إلى الأمام فوق قرنّي الثور مديراً جسمه على العـصـوَيْن القائمَينْ وقد تلاصقت رجلاه بإحكام وتقّوس جسمه إلى أحد الجانبين ليسمح للثور بالمرور.

من الجـمهور: "أوليه!"

كـان الثـور ينطح بعنف، قـافـزاً كسمكة طروته، وسيقانه الأربع كلهـا ترتفع عن الأرض. طارت قـصـبـتـا الرايتين الحمراوين حينما قفز.

لاحـظ مـانـويـل، وهو يقف عند الحـاجـز، أن الثـور ينطح إلى اليمين دائماً.

قـال للصبي الذي بدأ يجري نحو فوينتيس بالرايتَينْ الجديدتَينْ: "أخبره بأن يغرز الرايتين التاليتين على اليمين".

حطت يد ثقيلة على كتفيه. كانت يد زوريتو.

سأل: "كيف تشعر يا فتى؟"

كان مانويل يراقب الثور.

مـال زوريتـو إلى الأمـام واتكأ على الحـاجـز، ملقـياً بثقل جسمه على ذراعيه. التفتَ مانويل إليه.

قال زوريتو: "أنتَ تعمل جيداً".

هزّ مانويل رأسه. لم يكن لديه ما يعمله الآن حتى الثالث التالي. كان الغجري ماهراً جداً بالرايات. سيصل إليه الثور في الثالث التالي وهو مهيأ له. كان ثوراً جيداً. كان كل شيء سهلاً حتى الآن. كانت الحركة بالسيف هي كل ما أقلقه. لم يكن حقاً قلقاً. إنه حتى لم يفكر بها. لكن، بينما هو واقف هنا، شعر برهبة ثقيلة. نظر إلى الثور، مخططاً للقيام بإنجازه، القيام بعملِه بقطعة القماش الحمراء التي ستضعف الثور، ليصبح سهل القيادة.

كان الغجري يخرج متجهاً نحو الثور مرة أخرى، ماشياً على عقبيه وأصابع قدميه، بحركات مهينة، كراقص في قاعة رقص، وقصبتا الرايتين الحمراوين تهتزان أثناء مشيه. راقبه الثور، الذي لم يكن مثبّتاً، متصيّداً إياه، لكنه ينتظر أن يقترب منه قرباً كافياً فيتأكد من الوصول إليه، وصول قرنيه إليه.

حالما تقدم فوينتيس إلى الأمام، هاجمه الثور. جرى فوينتيس عبر ربع دائرة حين هاجمه الثور وحين مّر جاريا إلى الخلف، وقف، دار متجهاً إلى الأمام، ارتفع على أصابع قدميه، ذراعاه ممدودتان إلى الأمام، وأغرق الرايتين مباشرة إلى أسفل في توتر عضلات الكتف الكبيرة حالما أخطأه الثور.

هاج الجمهور لهذا.

قال رجل ريتانا لزوريتو: "لن يصمد ذلك الفتى في مصارعة الليلة طويلاً".

قال زوريتو: "إنه جيد".

-"راقبه الآن".

راقباه.

وقـف فـويـنـتـيس وظهـره على الحـاجـز. وقف اثنان من فـريق المصـارعـة خلفه، وكاباهما جاهزان ليهزاهما من فوق الحاجز لتشتيت انتباه الثور.

كـان الـثـور، ولـسـانـه خـارج فـمـه وجـذعـه ينـتـفض، يراقب الـغـجـري. فـكّر أنـه سـينال منه الآن. ظهـره على ألواح الخـشب الحـمراء. هجمة قصيرة فقط. راقبه الثور.

مـال الغـجـري إلى الوراء، سـحب ذراعيه إلى الخلف، والرايتان تشيران إلى الثور. صـاح بالـثـور، خـبط إحـدى قـدمـيـه بالأرض. سـاور الـثـور شكّ. كـان يريد الرجل. لا مـزيداً من الأشـواك في الكتف.

تقـدّم فـويـنتـيس إلى مـسـافـة أقـرب من الثور. مال إلى الوراء. صاح ثانية. صاح شخص من بين الجمهور محذّراً.

قال زوريتو: "إنه قريب جداً".

قـال رجل ريتانا: "راقبه".

مـائلاً إلى الخلف، مـثيراً الـثـور بالرايتَيْنْ، قـفـز فوينتيس، وكلتا قـدمـيـه بعـيدتين عن الأرض. حالما قفز، ارتفع ذيل الثور وهاجم. حطّ فـوينتـيس على أصـابع قـدمـيه، ذراعاه ممدوتان على استقامتهما وكل جـسـمه مقّوس إلى الأمام، ودفع القصبتَيْنْ إلى أسفل حين دار بجسمه بعيداً عن القرن الأيمن.

اصطدم الثـور بالحـاجـز حـيث جـذبت الكابات المرفرفه أنظاره حين أضاع الرجل.

جـرى الغـجـري أمام الحاجز نحو مانويل، متلقياً التصفيق من الجـمـهـور. كـانت صـديريتـه ممزقـة حيث لم يتخلص من حّد قرن

الثور. كان سعيداً بهذا التمزّق، مظهراً إياه للمشاهدين. قام بدورة حول الحلبة. رآه زرويتو يمرّ قربه، مبتسماً، مشيراً إلى صديريته. ابتسم.

كان شخص آخر يزرع آخر زوجٍ من الرايات. لم ينتبه إليه أحد.

لفّ رجل ريتانا هراوة داخل قماش إلـ موليتا الأحمر، طاوياً القماش فوقها، وناولها من فوق الحاجز إلى مانويل. مدّ يده بقراب السيف الجلديّ وأخرج منه سيفاً، فيما هو يمسك بالسيف من قرابة الجلديّ، مدّه من فوق السياج إلى مانويل. سحب مانويل النصل من قرابة ممسكاً بالمقبض الأحمر وسقط القراب على الأرض.

نظر إلى زوريتو. رأى الرجل الضخم أنه يتصبب عرقاً.

قال زوريتو: "ستناله الآن يا فتى".

أومأ مانويل برأسه.

قال زوريتو: "إنه مهيأ".

أكّد له رجل ريتانا: "تماماً كما تريده".

أومأ مانويل برأسه.

نفخ نافخ البوق، تحت السطح، معلناً الفصل الختامي، وسار مانويل عبر الحلبة إلى حيث لا بد أن يكون رئيس الجمهورية موجوداً في الأعلى، في المقصورات المظلمة.

في مقاعد الصف الأمامي، شرب ناقد المصارعة البديل في جريدة الـ **هيرالدو** جرعة كبيرة من الشمبانيا الدافئة. قرّر أن من غير المجدي كتابة وصف لما يجري وأنه سيكتب عن المصارعة حين

يعـود إلى المكتب. كـيف كانت على أي حال؟ مصارعة ليلية فقط. إذا فـاته أي شيء، سـيستخرجه من جرائد الصباح. شرب جرعة شـمبانيا أخرى. كان لديه موعد في مطعم مكسيم في الساعة الثانية عشرة. مَنْ هم هؤلاء المصـارعـون على أي حـال؟ صبية ومتشردون. حـفـنـة من المتشردين. وضع إضمامـه الورق في جـيـبـه ونظر نحـو مـانويل الواقف وحـيـداً تمامـاً في الحلبـة، مـشيراً بقبعته بتحية نحو مـقصورة لم يستطيع رؤيتها وهي في مكان عالٍ في المدرج المظلم. في الحلبة، وقف الثور هادئاً، ناظراً إلى لاشيء.

ـ"أهـدي هـذا الثـور إليك، أيها السـيـد الرئيس، وإلى جمهـور مـدريد، أذكى وأكرم جمهور في العالم". كان هذا ما يقوله مانويل. إنها صـيـاغـة. قـالها بكاملها. كانت أطول من اللازم قليلاً بالنسبة للاستعمال الليلي.

أحنى هامـتـه في الظلام، أعـتـدل، قـذف بقـبـعـته فوق كتفه، وسـار، حـامـلاً الـ مـوليـتـا في يده اليسرى والسيف في يده اليمنى، نحو الثور.

سـار مانويل نحو الثور. نظر الثور إليه؛ عيناه سريعتان. لاحظ مـانويل الطريقـة التي تتـدلى فـيـهـا الرايات من كتف الثور الأيسر ولمـعـان الدم النازف الناتج عن نخـز زوريتـو. لاحظ طريقـة أقـدام الثـور. فـيما كـان يسير إلى الأمـام، ممسكاً الـ مـوليـتـا بيده اليسرى والسـيف بيـده اليـمنى، راقب أقدام الثور. لن يستطيع الثور الهجوم دون تجميع أقدامه معاً. وقف الآن على أقدامه كلها، ببلادة.

سار مانويل نحوه، مراقباً أقدامه. كان هذا على ما يرام. يمكنه فـعل هذا. لا بد أن يعمل حتى ينكّس رأس الثور، حتى يمكنه أن

يمرّ أمام القرنين ويقتله. لم يفكر بالسيف، ولا بقتل الثور. فكّر في شيء واحد كل مرة. مع أن الأمور القادمة أزعجته. فيما هو يمشي إلى الأمام، مراقباً أقدام الثور، رأى على التوالي عينيه، وخطمه المبلل، وامتداد قرنيه المشيرَيْن إلى الأمام. كانت تحيط بعيني الثور دوائر خفيفة. راقبتْ عيناه مانويل. أحسّ الثور بأنه سينال من هذا الشيء الصغير ذي الوجه الأبيض.

فيما هو يقف ساكناً وينشر قماشَ الـ موليتا الأحمر بالسيف، غارزاً حدّه بالقماش حتى يفرد ذلك السيفُ، الممسك به الآن بيده اليسرى، قماشَ الفانيلا الأحمر مثل شراع قارب، لاحظ مانويل حديّ قرنّي الثور. كان أحدهما متشظياً من الخبط على الحاجز. كان الآخر حاداً كشوكة قنفذ. لاحظ مانويل وهو يفرد الـ موليتا بأن قاعدة القرن البيضاء ملطخة باللون الأحمر. بينما هو يلاحظ هذه الأشياء لم تغب عن بصره أقدام الثور. ظلّ الثور يراقب مانويل بثبات.

فكّر مانويل: إنه في حالة دفاع الآن. إنه يوفّر نفسه. لابد أن أخرجه من وضعه ذلك وأجعله ينكّس رأسه. أجعله ينكّس رأسه دائماً. لقد جعله زوريتو ينكّس رأسه مرة، لكنه عاد ورفعه. سينزف حين أبدأ بمصارعته وسيجعله هذا ينكّس رأسه.

ممسكاً بالـ موليتا، والسيف بيسراه فارداً إياها أمامه، صاح بالثور.

نظر الثور إليه.

مال إلى الخلف بحركة مهينة وهزّ قطعة الفانيلا المفرودة على مداها.

رأى الـثـور الـ مـوليـتـا. كـانت قـرمـزية سـاطعـة تحت النور الكشّاف. تضـامّت قوائم الثور.

ها هو قـادم. وووش! دار مـانويل حـالما اقترب الثـور ورفع الـ مـوليتـا حـتى مـرّتْ فـوق قرنَي الثور ومسحتْ ظهره العريض من الرأس حتى الذيل. مـرّ الثـور به دون أن يمـسسه سوء شاقاً الهواء بهجومه. لم يتحرك مانويل.

عند نهاية المرور، التـفت الثـور كـقطعـة تدور حـول ركن وواجه مانويل.

اتخـذ وضـع الهـجـوم ثـانـيـة. تـلاشى ثقله. رأى مـانويل الدم الطازج مـتألقـاً أسـفل الكتف الأسود ويقطر إلى أسفل ساق الثور.

سـحـب الـسـيف من الـ مـوليـتـا وأمـسك به في يده اليـمنى. والـ مـوليـتـا منخـفـضـة في يده اليسرى، ومائلاً هو بجسمه إلى اليسار، صـاح بالثـور. توترت سـيـقـان الثـور وعـيناه على الـ مـوليتا. فكّر مانويل: ها هو قادم. يوه!

دار مع الهجـوم، كـانسـاً الـ مـوليـتـا أمـام رأس الثـور، وقـدماه ثابتـتان، وسيفه يتبع المنحنى، نقطة نور تحت الأقواس.

أعـاد الثـور الهجـوم وقـد انتـهى المرور العـادي ورفع مانويل الـ مـوليتـا لحـركـة مـرورِ صَدْر. ومانويل مغروساً بثبات، وصل الثور إلى قـرب صـدره تحت الـ مـوليتـا المرفوعة. مال مانويل برأسه إلى الخلف لتـفـادي قصبات الرايات المقرقعة. لمس جسمُ الثور الأسود الساخن صدرَه حين مرّ به.

فـكّر مـانـويل: قـريب جـداً إلى حـد اللعنة، تحـدّث زوريتـو، المتكىء على الحـاجـز، بسرعة إلى الغجري الذي هرول نحو مانويل

ومعه كاب، شدّ زوريتو قبعته إلى أسفل ونظر عبر الحلبة إلى مانويل.

كان مانويل يواجه الثور ثانية، الـ موليتا منخفضة وإلى اليسار. كان رأس الثور منكّساً وهو يراقب الـ موليتا.

قال رجل ريتانا. "لو كان بيلمونتي هو الذي يقوم بهذه الحركة لجُنّ جنونهم".

لم يقل زوريتو شيئاً. كان يراقب مانويل وهو في وسط الحلبة.

سأل رجل ريتانا: "أين نبش المعلم عن هذا الشخص؟"

قال زوريتو: "في المستشفى".

قال رجل ريتانا: "إلى ذلك المكان سيذهب بسرعة لعينة".

التفت زوريتو إليه.

قال مشيراً إلى الحاجز: "أخبط على هذا".

قال رجل ريتانا: "كنت أمزح فقط يا رجل".

ـ"أخبط على الخشب".

مال رجل ريتانا إلى الأمام وخبط ثلاث مرات على الحاجز.

قال زوريتو: "راقب حركة الإنجاز".

في وسط الحلبة وتحت الأضواء، كان مانويل راكعاً، مواجهاً الثور، وحين رفع الـ موليتا في كلتا يديه، هاجم الثور، وذيله إلى أعلى.

دار مانويل بجسمه حول نفسه مبتعداً عن الثور، حين عاود الثور الهجوم، أدار الـ موليتا مكوّنا نصف دائرة أجبرت الثور على الركوع على ركبتيه.

قال رجل ريتانا: "لماذا، ذلك الرجل مصارع ثيران عظيم".

قال زوريتو: "لا. إنه ليس كذلك".

نهض مانويل واقفاً ثم انحنى والـ موليتا في يده اليسرى والسيف في يمناه، رداً على التصفيق المنطلق من الساحة المظلمة.

قوّس الثور جسمه مرتفعاً به لينهض عن ركبتيه ووقف منتظراً، ورأسه يتدلى منكّساً.

تحدث زوريتو لصبيّي فريق المصارعة الآخرين فجريا ليقفا خلف مانويل مع كابيهما. أصبح الآن خلفه أربعة رجال. لحق هيرنانديز به منذ أن خرج لأول مرة حاملاً الـ موليتا. وقف فوينتيس مراقباً، كابه ملتصق بجسمه، طويلاً، هادئاً، مراقباً عينين كسلانتين. اقترب الاثنان الآن. أشار إليهما هيرنانديز ليقف كل منهما إلى كل جانب. وقف مانويل وحيداً مواجهاً الثور.

أشار مانويل للرجال الحاملين الكابات ليبتعدوا إلى الخلف. خطوا بحذر إلى الخلف، رأوا وجهه أبيض ويتعرّق.

ألا يفهمون أنهم يجب أن يبقوا بعيدين؟ هل يريدون أن يلفتوا أنظار الثور بكاباتهم بعد أن ثُبّت وأصبح مُهَيّاً؟ لديه ما يكفيه مما يثير قلقه دون مثل هذا النوع من التصرفات.

كان الثور واقفاً، وأقدامه الأربعة تشكّل مربعاً، ناظراً إلى الـ موليتا. لفّ مانويل الـ موليتا في يده اليسرى. راقبتها عينا الثور. كان جسده ثقيلاً على أقدامه. نكّس رأسه، لكن، ليس كثيراً.

رفع مانويل الـ موليتا نحوه. لم يتحرك الثور. عيناه فقط راقبتا.

فكّر مانويل: أصبح كله رصاصاً. أصبح كله مربعاً. أصبح مُهَيّاً تماماً. سيتلقاها.

فكّر بلغة مصارعة الثيران. أحياناً دارت في خلده أفكار لكن التعابير العامة الخاصة بها لم تخطر في باله فهو لا يستطيع أن يدرك الفكرة. عملتْ غرائزه ومعارفه تلقائياً، وعمل دماغه ببطء وعلى شكل كلمات. كان يعرف كل شيء عن الثيران. لم يكن مضطراً للتفكير فيها. فَعَل الشيء الصحيح تماماً. لاحظتْ عيناه الأشياء وقام جسمه بالإجراءات الضرورية دون تفكير. لو فكّر فيها، لانتهى.

الآن، مواجهاً الثور، كان يعي أشياء كثيرة في نفس الوقت. ها هما القرنان، أحدهما مشظّى والآخر حادّ أملس، الحاجة تدعوه إلى حركة جانبية نحو القرن الأيسر، يقذف بنفسه مسافة قصيرة ومباشرة، يخفض الـ موليتا حتى يتبعها الثور ثم، وبعد أن يعلو فوق القرنين، يغرس السيف في بقعة صغيرة بحجم قطعة البيزيتات الخمس في مؤخرة الرقبة تماماً، بين القمة الحادّة لكتفيّ الثور. يجب أن يفعل كل هذا، ثم يجب أن يفلت خارجاً من بين القرنين. كان مدركاً أنه يجب أن يفعل كل هذا، لكن تفكيره الوحيد تشكّل في كلمات: "قصيرة ومباشرة/ Corto y derecho" .

فكّر: "قصيرة ومباشرة"، لافّاً الـ موليتا. قصيرة ومباشرة. قصيرة ومباشرة. سحب السيف من الـ موليتا، وتحرّك حركة جانبية نحو القرن الأيسر المشظّى، أسقط الـ موليتا على جسمه، حتى كوّنت يده اليمنى وبها السيف على مستوى عينيه علامةَ الصليب، ثم، مرتفعاً بجسمه على أصابع قدميه، رأى في نهاية النصل المائل البقعةَ العالية بين كتفيّ الثور.

بحركة قصيرة ومباشرة قذف بنفسه على الثور.

وقعتْ صدمة، وأحسّ بنفسه يعلو في الهواء. دفع بالسيف وهو يعلو ويحبط فوق الثور، وطار من يده. ارتطم بالأرض وانقض الثورُ عليه. ومانويل مطروحاً على الأرض، ركل خطم الثور بقدميه المنتعلتَين خفَينْ. ركل وركل، والثور وراءه، مخطئاً في هياجه، خابطاً إياه برأسه، دافعاً قرنيه في الرمل. راكلاً كرجل يبقي كرةً في الهواء، صدّ مانويل الثور ومنعه من إطلاق دفعة مباشرة عليه.

أحسّ مانويل بالهواء على ظهره من الكابات المرفوعة أمام الثور. ثم ابتعد الثور، تخطاه الثور باندفاع. ظلام، بينما بطن الثور يمرّ فوقه. حتى أنه لم يدس عليه.

نهض مانويل واقفاً على قدميه والتقط الـ موليتا. ناوله فوينتيس السيف. كان ملتوياً حيث صدم نصلَ الكتف. عدّله مانويل على ركبته وركض نحو الثور الواقف الآن إلى جانب أحد الحصانين الميتَينْ. فيما هو يجري، تطايرت صديريته في المكان الذي تمزقت فيه تحت إبطه.

صاح مانويل بالغجري: "أبعده من هناك". شمّ الثور رائحة دم الحصان الميت، مزّق غطاء قماش القنب بقرنيه. هاجم كاب فوينتيس، وقطعة القنّب متدلية من قرنه المشظّى، وضحك الجمهور. في الحلبة، هزّ الثور بعنف ليخلّص نفسه من قماش القنّب. أمسك هيرنانديز، راكضاً وراءه، بطرف قماش القنّب ورفعه عن القرن تماماً.

تبع الثور قطعة القماش بنصف هجوم وتوقف ساكناً. أصبح في وضع الدفاع ثانية. راح مانويل يسير نحوه ومعه السيف والـ

مـوليتا. لوّح مانويل بالـ موليتا أمامه. الثور لن يهاجم.

تحـرّك مـانويل حـركة جانبية نحو الثور، ناظراً إلى نصل السيف الذي يقطر دمـاً. كـان الثور بلا حراك، يبدو ميّتاً على قدميه، غير قادر على القيام بهجوم آخر.

ارتفع مـانويل على أصابع قدميه، ناظراً إلى الفولاذ، ثم هاجم.

مـرة أخـرى وقـعتْ الصـدمـة وأحسّ بنفسـه محمـولاً باندفاع، لـيُضرب بـقـوة على الرمل. لم تكن هناك فـرصـة للركل هذه المرة. كـان الـثـور فـوقـه تمامـاً. انطرح مـانويل كأنه مـيّت، ورأسـه على ذراعـيـه، وخـبطه الثور. خبط ظهرَه، خبط وجهه في الرمل. أحسّ بـالـقـرن ينغـرس في الرمل بين ذراعـيـه المطويتَينْ. ضربه الثـور في مـسـتـدق ظهـره. غطس وجهه في الرمل. اخترق القرن أحد كمّية ومـزّقـه الثور وانتزعه. دُفع مانويل بعيداً ولحق الثور بالكابات.

وقف مـانويل، وجـد السـيف والـ مـوليـتا، جرّب حافة السيف بإبهامه، ثم جرى نحو الحاجز لأخذ سيف جديد.

ناوله رجل ريتـانا السيف من فوق حافة الحاجز.

قال: "إمسح وجهك".

مـسح مـانويل، جـارياً مـرة أخـرى نحـو الثـور، وجهَه الدامي بمنديله. لم يرَ زوريتـو. أين زوريتو؟

خطا فـريق المصـارعـة بعيداً عن الثور وانتظراوا ومعهم كاباتهم. وقف الثـور، ثقيلاً وخامد الهمة مرة أخرى بعد الفعل.

سـار مـانويل نحـوه ومـعـه الـ مـوليتا. وقف وهزّها. لم يستجب الثـور. مـرّرها يمـيناً ويسـاراً، يساراً ويميناً أمام خطم الثور. راقبتها عـيـنـا الثـور واسـتـدار مع اهتـزازها، لكنه لن يهاجم. كـان ينتظر

مانويل.

كـان مـانويل قلقـاً. لم يكن مـا يفـعله سوى أن يصارع. قصيرة ومـبـاشرة. اقترب بحـركـة جـانبـيـة من الثـور، مـرر الـ موليتا أمام جـسـمـه وهاجم. حين دفع بالسـيف، أطاح بجـسـمـه إلى اليسار ليـفلت من القرن. مرّ الثور به وطار السيف في الهواء، متلالئاً تحت الأنوار الكشافة، ليسقط أحمرَ المقبض على الرمل.

جرى مانويل والتقطه. كان ملتوياً فعدّله فوق ركبته.

حين تقـدم راكـضـاً نحـو الثـور. المثبّت مـرة أخـرى الآن. مرّ بهيرنانديز الواقف ومـعه كابه.

قال الفتى مشجّعاً: "كله عظام".

أومأ مانويل، ماسحاً وجهه. دسّ منديله الدموي في جيبه.

ها هو الثـور. أصـبح قـريباً من الحاجز الآن. اللعنة عليه. ربما كـان كله عظامـاً. ربما لا يوجد أي مكان للسيف لينغرس فيه. إلى الجـحيم عدم وجود مكان! سيريهم.

حـاول أن يمر مع الـ موليتا لكن الثور لم يتحرك. هزّ مانويل الـ مـوليتا إلى الخلف والأمام أمام الثور. لم تفعل شيئاً.

طوى الـ مـوليتا، سحب السيف، سار بحركة جانبية وغرسه في الثـور. أحسّ بالسـيف يلتـوي وهو يغـرسـه، ملقياً بثقله عليه، ثم طار في الهواء، وحـدّه إلى أعلى نحـو الجمهور. كان مانويل قد ارتجّ فـالتاً والسيف يقفز.

أخطأته أول الوسـائد المقـذوفـة من الظلام. ثم أصـابت إحداها وجـهـه، وجـهـه الدامي المواجـه للجـمـهـور. كـانت تنهـال هابطة بسرعـة. منتشرة على الرمل. ألقى أحـدهم قنينة شـامبانيا فارغة من

مسافة قصيرة. أصابتْ قدم مانويل. وقف هناك مراقباً الظلام الذي تنطلق منه الأشياء. ثم أزَّ شيء في الهواء وصدمه. انحنى مانويل والتقطه. كان سيفه. عدّله فوق ركبته وأشار به نحو الجمهور.

قال: "شكراً لكم. شكراً لكم".

أوه، أولاد الحرام القذرون! أولاد الحرام القذرون! أوه، أولاد الحرام القذرون المقمّلون! تعثّر بوسادة وهو يجري.

ها هو الثور. كما كان من قبل تماماً. حسناً، أنت يا ابن الحرام القذر المقمّل.

مرر مانويل الـ موليتا أمام خطم الثور الأسود.

لاشيء يفعله.

لن تفعل. حسناً خطا مقترباً وضرب قمّة الـ موليتا الحادة بخطم الثور المبّلل.

جثم الثور عليه وهو يقفز متراجعاً وحين تعثر بوسادة أحس بالقرن يخترقه، في جنبه. قبض على القرن بكلتا يديه وتراجع إلى الخلف، متشبثاً بشدة بالمكان. قذف به الثور فتحرر. تمدد ساكناً. كانت الحال على ما يرام. كان الثور قد ابتعد.

نهض وهو يسعل ويشعر بأنه مكسور ومنتهٍ. أولاد الحرام القذرون!

صاح: "أعطني السيف. أعطني القماش".

تقدم فوينتيس بالـ موليتا والسيف.

أحاطه هيرنانديز بذارعه.

قال: "إذهب إلى المصحة يا رجل. لا تكن أبله لعيناً".

قال مانويل: "حلّ عني. إذهب إلى الجحيم بعيداً عني".
تلوّى متحرراً منه. هزّ هيرنانديز كتفيه. جرى مانويل نحو الثور.
ها هو الثور واقف هناك، ثقيلاً، مغروساً بثبات.
حسناً، أنت يا ابن الحرام! سحب مانويل السيف من الـ موليتا، ناظراً إليه مع نفس الحركة، وألقى بنفسه على الثور. أحسّ بالسيف ينغرس كله. حتى واقي المقبض. أربع أصابع وإبهامه في الثور. كان الدم حاراً على عُقَل أصابعه، ثم علا ظهر الثور.
ترنح الثور معه وهو على ظهره، وبدا أنه يغطس؛ ثم وقف متحرراً من الثور. نظر إلى الثور ينهار ببطء على جنبه، ثم فجأة أربع أقدام في الهواء.
ثم أشار إلى الجمهور، ويده دافئة من دماء الثور.
حسناً يا أولاد الحرام! أراد أن يقول شيئاً، لكنه بدأ يسعل. كان الطقس حاراً وخانقاً. خفض نظره بحثاً عن الـ موليتا. يجب أن يتقدم ويحيي الرئيس. رئيس جحيم! كان يجلس ناظراً إلى شيء ما. كان الثور. أقدامه الأربعة إلى أعلى. لسان غليظ خارجاً. أشياء تزحف في أنحاء بطنه وتحت سيقانه. زاحفة حيث كان الشعر خفيفاً. ثور ميّت. إلى الجحيم بالثور! إلى الجحيم بهم جميعاً! أخذ بنهض على قدميه وبدأ يسعل. جلس مرة أخرى، ساعلاً. أتى شخص ورفعه لينهض.
حملوه عبر الحلبة إلى المصح، راكضين معه عبر الرمل، وقفوا سادّين البوّابة والبغال تدخل الحلبة، ثم حول المكان تحت الممر المعتم، والرجال يزمجرون وهم يحملونه مرتقين الدرج، ثم مددوه

على الأرض.

كان الطبيب ورجلان يرتديان ملابس بيضاء في انتظاره. وضعوه على الطاولة. كانوا يمزقون قميصه. أحسّ مانويل بالتعب. صدره كله يشتعل في داخله. أخذ يسعل فألصقوا شيئاً بفمه. كان الكلُ مشغولين تماماً.

سطع نور كهربائيّ في عينيه. أغمض عينيه.

سمع شخصاً يأتي بخطى ثقيلة جداً مرتقياً الدرج. ثم لم يسمع هذا. ثم سمع ضجة بعيدة. كان ذلك الجمهور. حسناً، شخص ما سيقتل ثوره الآخر. لقد مزقوا كل قميصه ونزعوه. ابتسم الطبيب له. كان ريتانا هناك.

قال مانويل: "مرحباً يا ريتانا!" لم يسمع صوته.

ابتسم ريتانا له وقال شيئاً. لم يسمعه مانويل.

وقف زوريتو إلى جانب الطاولة، منحنياً فوق المكان الذي يعمل الطبيب فيه. كان في ملابس النخّاز، بلا قبعته.

قال له زوريتو شيئاً. لم يسمعه مانويل.

كان زوريتو يتكلم مع ريتانا. أحد الرجلين المرتديين الملابس البيضاء ابتسم وناول ريتانا مقصاً. أعطاه ريتانا لزوريتو. قال زوريتو شيئاً لمانويل. لم يسمعه.

إلى الجحيم بطاولة العمليات هذه! لقد وُضع على كثير من طاولات العمليات من قبل. لن يموت؟ سيكون هناك قسيس لو كان سيموت.

كان زوريتو يقول شيئاً له. رافعاً المقص.

ذلك ما كان. كانوا سيقصون ضفيرته ذيل الخنزير. كانوا

سيقصّون ضفيرته ذيل الخنزير.

جلس مانويل معتدلاً على طاولة العمليات. خطا الطبيب إلى الخلف، غاضباً. أمسك به أحدهم وثبّته.

قال: "لا يمكنك فعل شيء كذلك يا مانوس".

سمع فجأة، بوضوح، صوت زوريتو.

قال زوريتو: "ذلك حسن. لن أفعل هذا. كنتُ أمزح".

قال مانويل: "كنتُ أعمل جيداً. لم يحالفني أي حظ. ذلك كل شيء".

استلقى مانويل على ظهره. وضعوا شيئاً على وجهه. كان كل هذا مألوفاً. نشق بعمق. كان تعباً جداً. كان تعباً جداً جداً. أبعدوا الشيء عن وجهه.

قال مانويل بوهن: "كنت أعمل جيداً. كنت أعمل على نحو عظيم".

نظر ريتانا إلى زوريتو واتجه نحو الباب.

قال زوريتو: "سأبقى هنا معه".

هزّ ريتانا كتفيه.

فتح مانويل عينيه ونظر إلى زوريتو.

سأل، للتأكد: "ألم أعمل جيداً يا مانوس؟"

قال زوريتو: "أكيد. كنت تعمل على نحو عظيم".

وضع مساعد الطبيب القمع على وجه مانويل ونشق هو بعمق. وقف زوريتو وقفة خرقاء، مراقباً.

في بلاد أخرى

في الخريف ظلّت الحرب دائماً ناشبةً هناك، لكننا لم نعد نشارك فيها. كان الطقس بارداً في الخريف في ميلانو وحلّ الظلام مبكراً جداً. ثم اشتعلت الأنوار الكهربائية، فكانت مبهجةً على طول الشوارع المطلّة على النوافذ. كانت توجد كثير من الطرائد تتدلى خارج الدكاكين، وارتش ذرور الثلج في فرو الثعالب وأطارتْ الريحُ ذيولهَا. تدلّى الغزال متيبّساً وثقيلاً وفارغاً، وطارت طيور صغيرة في الريح وقلبَتْ الريحُ ريشهَا. كان خريفاً بارداً وهبّتْ الريح هابطة من الجبال.

كنا كلنا نتواجد في المستشفى بعد ظهر كل يوم، وكانت توجد طرق مختلفة للمشي عَبْرَ البلدة ساعةَ الغسق إلى المستشفى. كان طريقان منها على طول جانب قنوات، لكنهما كانا طويلينْ. لكنكَ كنتَ دائماً تعبر جسراً فوق قناة لتدخل المستشفى. كان هناك اختيار لثلاثة جسور. على أحدها امرأة تبيع كستناء مشوية. كان مما يشيع الدفء الوقوف أمام نار فحمها، وكانت الكستناء دافئة بعد ذاك في جيبك. كان المستشفى قديماً جداً وجميلاً جداً، وتدخلُ من بوابة وتمشي عبر الفناء وتخرج من بوابة على الجانب الآخر. وتجري عادةً جنازات تنطلق من الفناء. وراء المستشفى القديم تقع أجنحة الآجر الجديدة، وهناك نلتقي بعد ظهر كل يوم وكنا كلنا مؤدبين جداً

ومهتمين بمجريات الأمور، ونجلس في الآلات التي كانت ستحدث تغييراً كبيراً جداً.

تقدّم الطبيب من الآلة حيث كنتُ أجلس وقال: "ماذا أحببتَ أن تفعل أكثر من أي شيء آخر قبل الحرب؟ هل مارست رياضة؟"

قلت: "نعم، كرة القدم".

قال: "حسن. ستصبح قادراً على أن تلعب كرة القدم ثانيةً أفضل من السابق".

لا تنحني ركبتي وتسقطُ ساقي مستقيمة من الركبة حتى الكاحل دون بطة رجل، وكان على الآله أن تحني الركبة وتجعلها تتحرك كما في ركوب دراجة ثلاثية العجلات. لكنها لم تنحنِ حتى الآن، وبدلاً من هذا تحيد الآله فجأة حين تصل إلى الجزء المنحني. قال الطبيب: "سيزول كلُ هذا. أنتَ شاب محظوظ. ستلعب كرة القدم ثانية كبطل".

في الآله المجاورة يتعالج رائد له يد صغيرة كيد طفل رضيع. غمز بعينه إليّ حين فحص الطبيب يده، التي كانت بين شريطَينْ جلديين يثبان إلى أعلى وأسفل ويخبطان الأصابع المتيبسة، وقال: "وهل سألعب أنا أيضاً كرة القدم أيها الطبيب النقيب؟" كان لاعبَ سيف عظيم جداً وكان قبل الحرب، أعظم مثاقف في إيطاليا.

ذهب الطبيب إلى مكتبه في الغرفة الخلفية وأحضر صورة فوتوغرافية بيّنتْ يداً ذبلت متضائلة إلى أن أصبحتْ صغيرة كيد الرائد، قبل أن تأخذ دورة علاج بالآلة، وبعد ذلك أصبحتْ أكبر

قليلاً. أمسك الرائد بالصورة بيده السليمة ونظر إليها بحرص شديد. سأل: "جرح؟"

قال الطبيب: "حادث صناعي".

قال الرائد: "مثير للاهتمام جداً. مثير جداً"، وناولها للطبيب.

-"لديك ثقة بالنفس؟"

قال الرائد: "لا".

كان هناك ثلاثة فتيان يأتون كل يوم وكانوا في مثل سني تقريباً. كان الثلاثة كلهم من ميلانو، وأحدهم كان سيصبح محامياً، وآخر سيصبح رساماً، والثالث نوى أن يصبح جندياً، وبعد أن كنا ننتهي من الآلات، نمشي أحياناً عائدين معاً إلى مقهى كوفا، الذي كان مجاوراً لسكالا. كنا نمشي على الطريق القصير عبر الحي الشيوعي لأننا كنا أربعة معاً. كرهنا الناس لأننا كنا ضباطاً، ومن دكان نبيذ يصيح شخص بصوت عالٍ: 'A basso gli ufficiali! /ضباط حقيرون' كلما مررنا. وكان فتى آخر يمشي معنا أحياناً ليرفع عددنا إلى خمسة وهو يضع منديلا حريرياً أسود على وجهه لأنه لم يكن لديه أنف حينذاك وسيُعاد تركيبه. كان قد انضم إلى الجبهة من الأكاديمية العسكرية وجُرح في غضون ساعة بعد أن ذهب إلى خط الجبهة لأول مرة. أعادوا بناء وجهه، لكنه ينحدر من عائلة عريقة فلم يضعوا الأنف الصحيح بالضبط. سافر إلى أمريكا الجنوبية وعمل في مصرف. لكن هذا حدث منذ وقت طويل جداً، وحينئذ لم يعرف أيٌ منا كيف ستسير الأمور فيما بعد. عرفنا حينذاك فقط بأن الحرب دائماً ناشبة، لكننا لم نعد نشارك فيها.

كانت لدينا كلنا نفس الميداليات، ما عدا الفتى بعصبة الحرير

السـوداء على وجـهه، فهو لم يبق في الجبهة مدة تكفي للحصول على أي مـيـداليـة. كـان الفـتى ذو الوجه الشاحب جداً والذي سيصبح محامـيـاً مـلازمَ أول في جيش أرديتي ولديه ثلاث ميداليات من نفس النوع الذي لدى كل واحـد منا واحدة منها فقط. عاش مدة طويلة جـداً مـع الموت وكـان منطوياً على نفـسـه قليـلاً. كنا كلنا منطوين قليـلاً، ولم يكن هناك مـا يجمـعنا معاً سوى أننا نلتقي بعد ظهر كل يوم في المسـتـشـفى. مع ذلك، وفيما نحن نتجه إلى مقهى كوفا عبر الجـزء الخـشن من البلدة، ماشين في الظلام، والنور والغناء يخرجان من محلات النبـيـذ، ونضطر أحياناً أن نمشي في الشارع حين يتزاحم الرجـال والنساء معاً على أرصفة المشاة ويكون علينا أن نشق طريقنا بـيـنـهـم بالمناكب، كنا نحسّ بالترابط مـعـاً لوقـوع شيء لنا لم يكن هؤلاء الناس، الذين يكرهوننا، يفـهمونه.

فـهـمنا نحن أنفـسنا مـقـهى كـوفـا، حيث كان غنياً ودافئاً وغير سـاطع الإنارة كـثيراً، وضـاجّاً ومـدخناً في ساعات معينة، وفيه دائماً فـتـيـات يجـلـسـن إلى الـطاولات والصـحـف المصـوّرة على رف على الحـائط. كـانت فـتيات مقهى كوفا وطنيات غيورات، وقد اكتشفتُ أن أكثر الناس وطنية في إيطاليا هن فتيات المقاهي - وأنا أعتقد أنهن لازلن وطنيـات.

كـان الفـتـيـان في البدء مؤدبون جداً حيال ميدالياتي وسألوني عما فـعلتُه لأحـصل عليـها. أريتهم الأوراق التي كُتبت بلغة جميلة جداً وهي مليئة بـ fratellanza - abnegazion / الأخـوة وإنكار الذات لكنها قـالتْ فـعـلاً، بعـد حـذف النعوت، بأنني مُنحتُ الميداليات لأنني كنتُ أمريكياً. بعد ذلك تغيرّ سلوكهم قليلاً نحوي، مع أنني كنتُ

صـديقـهم ضـد الغـرباء. كنتُ صديقاً، لكنني لم أكن واحداً منهم بالفـعل بعـد أن قـرأوا التنويهات، لأن الوضع كـان مختلفـاً مـعـهم وقـامـوا بأعمال مختلفة تماماً لنيل ميدالياتهم. لقد جُرحتُ، كان هذا صـحـيح؛ لكننا نعرف كلنا أن إصابتَك بجرح، بعد كل هذا، هو حـقـاً حادث. لم أخجل أبداً من الأشرطة، مع أنني، وأحياناً، بعد سـاعـة الكوكـتـيل، أتخيل نفسي بأنني قمتُ بكل الأعمال التي قاموا بها لـنيل مـيـداليـاتهم؛ لكن وأنا أمشي عـائداً إلى البـيت ليـلاً عبر الشـوارع الخـاوية والريح البـاردة تهبّ وكل الدكـاكين مقفلة، محاولاً البـقـاء قـرب أنوار الشوارع، عرفتُ أنني ما كنتُ سأقوم بمثل تلك الأعمال أبـداً، وكنتُ خـائفـاً جـداً من أن أمـوت، وكـثيراً مـا كنتُ استلقي في السرير ليـلاً لوحـدي، خـائفـاً من أن أمـوت ومـتسائلاً كيف سأكون حين أعود إلى الجبهة ثانية.

كـان الثـلاثة الحـائزون على الميـداليات يشبهون صقور صيد؛ ولم أكن أنا صـقـراً، مع أنني قـد أبدو صـقـراً لأولئك الذين لم يمارسوا الصيـد أبداً؛ عرف، ثلاثتهم، هذا على نحو أفضل لذلك انفصلنا عن بعـضنا. لكنني بقـيتُ صـديقاً حميماً للفتى الذي أصيب في أول يوم له في الجـبـهـة، لأنه مـا كـان سيعرف أبداً الآن كيف سيتحوّل حـاله؛ لذلك لم يُقـبَل أيضاً، وقد أحببتُه لأنني ربما اعتقدتُ أنه لن يتحوّل إلى صقر هو الآخر.

لم يؤمن الرائد، الذي كـان مـشـاقـفـاً عظيماً، بالشجاعة، وأمضى وقـتـاً طويلاً ونحن نجلس في الآلات مـصـحـحـاً لي قـواعـد اللغة لدي. أثنى عليّ لكيـفـيـة حـديثي بالإيطاليـة، وتكلمنا معاً بسهولة كـبيرة. في أحـد الأيام، قلتُ بأن الإيطاليـة تبدو لي لغة سهلة جداً

حتى أنني لن أولها اهتماماً كبيراً؛ فكل شيء سهل قوله. قال الرائد: "آه. نعم. لماذا، إذن، لا تتخلى عن استعمال قواعد اللغة؟" هكذا تخلينا عن استعمال القواعد، وسرعان ما أصبحتْ الإيطالية لغة صعبة إلى درجة أنني صرتُ أخشى التحدث إليه إلا وقواعد اللغة تمرّ في ذهني مباشرة.

كان الرائد يتردد بانتظام على المستشفى. لا أعتقد أنه تخلّف يوماً واحداً، مع أنني متأكد تماماً من أنه لم يؤمن بالآلات. مرّ وقت لم يؤمن فيه أحد منا بالآلات، وفي أحد الأيام قال الرائد بأنها كلها هراء. كانت الآلات حديثة حينذاك وكنا نحن الذين سنبرهن عليها، قال: "نظرية، مثل أخرى". لم أتعلم قواعدي، وقال هو بأنني نقمة غبية مستحيلة، وأنه كان أبله ليزعج نفسه بالاهتمام بي. كان رجلاً ضئيلاً ويجلس معتدلَ القامة في كرسيّه ويده اليمنى مدسوسة داخل الآله وينظر إلى الأمام إلى الجدار والحزامان يخفقان إلى أعلى وأسفل والأصابع بينهما.

سألني: "ماذا ستفعل حين تنتهي الحرب إذا هي انتهتْ؟ تكلمْ نحوياً!"

ـ "سأذهب إلى الولايات المتحدة".

ـ "هل أنتَ متزوج؟"

ـ "لا، لكنني آمل أن أتزوج".

قال: "يا لك من أبله". بدا غاضباً جداً. "الرجل يجب ألاّ يتزوج".

ـ "لماذا يا سِنيور ماجيوري؟"

ـ "لا تدعُني: سِنيور ماجيوري".

ـ "لماذا يجب ألاّ يتزوج الرجل؟"

قـال بغـضـب: "لا يستطيع الزواج. لا يستطيع الزواج. إذا كان سـيـفـقـد كل شيء، فإنه يجب ألا يضعَ نفـسـه في وضع يخسر فـيه ذلك. يجب ألا يضعَ نفـسه في وضع ليخسر. يجب أن يجد أشياء لا يخسرها".

تـكـلّم بـغـضـب ومـرارة شـديدتَيْن، ونظر إلى الأمـام تماماً وهو يتكلم.

ـ "لكن لماذا سـيخسرها بالضرورة؟"

قـال الرائد: "سـيـخسرها". كـان ينظر إلى الحـائط. ثم خفض بـصره إلى الآلـة وهـزّ يـده الـصـغيرة مخرجـاً إياها من بين الحـزامَينْ وصـفعها بشدة على فخذه. كاد يصرخ: "سيخسرها. لا تجادلني!" ثـم نـادى عـلى المـلاحـظ الذي يشّغل الآلات: "تعـالَ وأوقف هذا الشيء اللعين".

عـاد إلى داخل الغـرفـة الأخـرى للعلاج الخفيف والتدليك. ثم سـمـعتُه يسأل الطبيب إذا كان يمكنه استعمال هاتفه وأغلق الباب. حـين عـاد إلى الـغـرفـة، كنتُ أجلس في آلة أخـرى. كـان يرتدي مـعطفـه الفـضـفاض ويعتمر طاقيته، واتجه مباشرة نحو آلتي ووضع ذراعه على كتفي.

قـال: "أنا آسف جـداً"، وربّتَ على كتفي بيده السليمة. "لن أكـون فظاً. ماتت زوجتي لتوها. يجب أن تسامحني".

قلت: "أوه"، شاعراً بالأسف من أجله. "أنا آسف جداً".

وقف هناك عـاضّاً شـفـتـه السـفلى. قال: "إنه صعب جداً. لا أستطيع أن أصبرّ نفسي".

نظر مباشرة ورائي ومن خلال النافذة. ثم بدأ يبكي. قال وقد شرق بالدموع: "إنني عاجز تماماً عن أن أصبرّ نفسي". ثم، باكياً، ورأسه إلى أعلى، ناظراً إلى لاشيء، متحاملاً على نفسه معتدلاً وكجندي، والدموع على كلتا وجنتيه وعاضّاً شفتيه، مشى متجاوزاً الآلات وخرج من الباب.

أخبرني الطبيب بأن زوجة الرائد، التي كانت صغيرة السن جداً ولم يتزوجها إلا بعد أن أصبح مريضاً جداً وأعفي من الحرب نهائياً، ماتتْ هي من التهاب رئوي. مرضتْ لبضعة أيام فقط. لم يتوقع أحد بأنها ستموت. لم يحضر الرائد إلى المستشفى لثلاثة أيام. ثم أتى في الساعة المعتادة، واضعاً شريطاً أسود على كم بزتّه العسكرية. حين عاد، كانتْ قد عُلّقتْ صور فوتوغرافية كبيرة مؤطّرة على الجدار، عن كل أنواع الجروح قبل وبعد أن شُفيت بالآلات. أمام الآلة التي يستعملها الرائد عُلّقت ثلاث صور أيدٍ كيدة استعادت شكلها تماماً. لم أعرف من أين حصل الطبيب عليها. لقد فهمتُ دائماً بأننا كنا أول من استعمل الآلات. لم تشكّلِ الصور الكثير من الفرق للرائد لأنه كان ينظر إلى خارج النافذة فقط.

تلال كفِيَلة بَيْضاء

كـانت التلال عبر وادي إيبرو طويلة وبيضاء. على هذا الجانب، لم يوجد ظلّ ولا أشـجـار وكـانت المحطة بين خطين من سكة حـديد تحت الشمس. لصق هذا الجانب من المحطة امتد ظلّ المبنى الدافىء وتدلى سـتـار مصنوع من خيوط خرز خيزرانية على الباب المفتوح إلى داخل المشرب، ليُبـقي الذباب في الخـارج. جلس الأمـريكي والفتاة المرافـقـة له إلى طاولة في الظل، خـارج المبنى. كـان الطقس حـاراً جـداً والقطار السريع سـيصل من برشلونة خلال أربعين دقيقة. إنه يتوقف عند هذا التقاطع لمدة دقيقتَيْنْ ثم يذهب إلى مدريد.

سألتْ الفـتـاة: "مـاذا سنشرب؟" كـانت قـد خلعت قـبـعـتها ووضعتها على الطاولة.

قال الرجل: "الطقس حار جداً".

ـ"لـنشرب بيرة".

قال الرجل من خلال الستارة: "Dos cervesas/ اثنان بيرة".

سألتْ امرأة من فتحة الباب: "كبيرتان؟"

ـ"نعم. كأسان كبيرتان".

أحضرت المـرأة كـأسَينْ من البيرة وقـاعـدتَينْ لبـآديتَينْ. وضـعـتْ الـلـبـادتَينْ وكـأسَي الـبيرة على الطاولَة ونظرتْ إلى الرجل والفـتـاة. كـانت الفـتـاة تنظر بعيداً إلى خط التلال. كانت بيضاء في الشمس

والأرض بنيّة وجافة.

قالتْ: "تبدو كفِيلَة بيضاء".

ـ"لم أرَ فيلاً أبيض قط". شرب الرجل بيرته.

ـ"لا. ما كنتَ لتراها".

قال الرجل: "قد أكون رأيتُها. لأنكِ تقولين إنني ما كنت سأرها لا يبرهن على أي شيء".

نظرتْ الفتاة إلى ستارة الخرز. قالت: "لقد رسموا شيئاً عليها. ماذا يقول؟"

ـ"Anis del Toro/أنيس دِل تورو. إنه شراب".

ـ"هل يمكننا تجربته؟"

نادى الرجل من خلال الستارة: "إسمعي".

خرجتْ المرأة من المشرب.

ـ"أربعة رياليس".

ـ"نريد اثنين من أنيس دِل تورو".

ـ"بالماء؟"

ـ"هل تريدينه بالماء؟"

قالت الفتاة: "لا أعرف. هل هو لذيذ بالماء؟"

ـ"إنه على ما يرام".

سألتْ المرأة: "تريدانها بالماء؟"

ـ"نعم. بالماء".

قالت الفتاة: "له مذاق عرق سوس"، ووضعت الكأس على الطاولة.

ـ"تلك هي الحال مع كل شيء".

قـالت الفـتـاة: "نعم. لكل شيء مـذاق عرق سوس. خصوصاً كل الأشياء التي انتظرتُها لمدة طويلة جداً، مثل الأبسينث".

ـ "أوه، أنهي الموضـوع".

قالت الفتاة: "لقد بدأتَه أنتَ. كنتُ مستمتعة. كنتُ أمضي وقتاً جيداً".

ـ "حسناً، لنحاول قضاء وقت جيد".

ـ "حسناً. كنتُ أحـاول. قلتُ إن الجـبال تشبه فيلَة بيضاء. ألم يكن ذلك ذكياً؟"

ـ "ذلك كان ذكياً".

ـ "أردتُ أن نجـرب هذا الشراب الجـديد. ذلك كل مـا نفـعله، أليس كذلك ـ ننظر إلى الأشياء ونجرّب مشروبات جديدة".

ـ "أظن هذا".

نظرتْ الفتاة عبر التلال.

قـالت: "إنها تلال جميلة. إنها لا تبدو حقاً كفيلة بيضاء. عنيتُ فـقط تلوّن جلدها خلال الأشجار".

ـ "هل نشرب شراباً آخـر؟"

ـ "حسناً".

دفـعتْ الريح الدافئة ستارة الخرز نحو الطاولة.

قـال الرجل: "البيرة رائعة وباردة".

قالت الفتاة: "إنها جميلة".

قـال الرجل: "إنها حقاً عملية بسيطة جداً يا جيج Jig. إنها حقاً ليست عملية على الإطلاق".

نظرت الفـتاة إلى الأرض التي استقرتْ قوائمُ الطاولة عليها.

ـ"أعرف أنكِ لن تبالي يا جيج. إنها حقاً ليستْ شيئاً. إنها فقط تَرْك الهواء يدخل".

لم تقل الفتاة شيئاً.

ـ"سأذهب معكِ وسأبقى معكِ طيلة الوقت. سيدعون الهواء يدخل فيكون كل شيء طبيعياً تماماً".

ـ"ثم ما الذي سنفعله بعد ذلك؟"

ـ"سنكون في وضع جيد بعد ذلك. تماماً كما كنا من قبل".

ـ"ما الذي يجعلكَ تفكّر هكذا؟"

ـ"ذلك هو الأمر الوحيد الذي يضايقنا. إنه الشيء الوحيد الذي جعلنا غير سعداء".

نظرتْ الفتاة إلى ستارة الخرز، مدّتْ يدها وأمسكت بخيطَيْنْ من الخرز.

ـ"وترى عندئذ أننا سنكون على ما يرام وسعداء".

ـ"أعرف أننا سنكون كذلك. يجب ألاّ تخافي. لقد عرفتُ الكثير من الناس الذين أجروها".

قالتْ الفتاة: "وأنا عرفت. وبعد ذلك أصبحوا سعداء جداً".

قال الرجل: "حسناً، إذا كنتِ لا تريدين إجراءها، فلستِ ملزمة بإجرائها. لن أجبركِ على إجرائها إذا كنتِ لا تريدين إجراءها. لكنني أعرف أنها سهلة تماماً".

ـ"وأنتَ حقاً تريد إجراءها؟"

ـ"أرى أنها أفضل شيء نفعله. لكنني لا أريد منكِ إجراءها إذا لم تريدي حقاً إجراءها".

ـ"وإذا أجريتُها ستكون الأمور كما كانت وستحبني؟"

ـ"إنني أحبك الآن. أنتِ تعرفين أنني أحبك".

ـ"أعرف هذا. لكن، إذا أجريتُها، هل سيكون رائعاً إذا قلتُ بأن بعض الأشياء تشبه فيلة بيضاء، وستحب هذا؟"

ـ"سأحب هذا. إنني أحب هذا الآن، لكنني لا أستطيع التفكير فيه. أنتِ تعرفين كيف أكون حين أحسّ بالقلق".

ـ"إذا أجريتُها لن تحسّ بالقلق أبداً؟"

ـ"لن أحسّ بالقلق بشأن تلك لأنها سهلة جداً".

ـ"إذن، سأجريها. لأنني لا يهمني أمر نفسي".

ـ"ماذا تعنين؟"

ـ"لا يهمني أمر نفسي".

ـ"لكن، أنا يهمني أمر نفسكِ".

ـ"أوه. نعم. لكن، لا يهمني أنا أمر نفسي. وسأجريها فتسير كل الأمور سيراً حسناً".

ـ"لا أريد أن تجريها إذا كنتِ تفكرين على ذلك النحو".

نهضت الفتاة واقفة وسارت إلى نهاية المحطة. على الجانب الآخر امتدتْ حقول حبوب وأشجار على ضفتيّ نهر إيبرو. بعيداً، وراء النهر، كانت جبال. تحرّك ظلّ سحابة عبر حقل الحبوب ورأتْ النهر من خلال الأشجار.

قالتْ: "ويصبح لدينا كل هذا. ونستطيع أن ننال كل شيء وكل يوم نجعله مستحيلاً أكثر".

ـ"ماذا قلتِ؟"

ـ"قلت إننا نستطيع أن ننال كل شيء".

ـ"نستطيع أن ننال كل شيء".

ـ"لا، لن نستطيع".

ـ"نستطيع أن نملك كل العالم".

ـ"لا، لن نستطيع".

ـ"نستطيع الذهاب إلى كل مكان".

ـ"لا، لن نستطيع. إنه لم يعد عالمنا".

ـ"إنه عالمنا".

ـ"لا، إنه ليس عالمنا. فحالما يأخذونه مرةً، أنتَ لا تستعيده أبداً".

ـ"لكنهم لم يأخذوه".

ـ"سننتظر ونرى".

قال: "عودي إلى الظل، يجب ألا تفكري على ذلك النحو".

قالت الفتاة: "أنا لا أفكّر على أي نحو. أنا أعرف الأشياء فقط".

ـ"لا أريدكِ أن تفعلي شيئاً لا تريدين أن تفعليه ـ"

قالتْ: "ولا ما هو غير جيد لي. أعرف. هل نشرب بيرة أخرى؟"

ـ"حسناً. لكن يجب أن تدركي ـ"

قالت الفتاة: "أنا أدرك. ألا نستطيع الكفّ عن الكلام؟"

جلسا إلى الطاولة ونظرت الفتاة عبرها إلى التلال على الجانب الجاف من الوادي ونظر الرجل إليها ونظر إلى الطاولة.

قال: "يجب أن تدركي بأنني لا أريدكِ أنْ تجريها إذا لم تريدي. أنا راغب تماماً في أن أمضي بها حتى النهاية إذا كانتْ تعني أي شيء لكِ".

ـ "ألا تعني شيئاً لك؟ نستطيع التصّرف" .
ـ "طبعاً هي تعني شيئاً لي. لكنني لا أريد أحداً إلاّكِ. لا أريد أي إنسان آخر. وأنا أعرف أنها سهلة تماماً" .
ـ "نعم أنتَ تعرف بأنها بسيطة تماماً" .
ـ "إنه لحسن لكِ أن تقولي ذلك، لكنني أعرف هذا فعلاً" .
ـ "هل تقدّم شيئاً إلّي الآن؟"
ـ "أنا أفعل أي شيء لكِ" .
ـ "هل تسمح رجاءً رجاءً رجاءً رجاءً رجاءً رجاءً رجاءً أن تكفّ عن الكلام؟"
لم يقل شيئاً لكنه نظر إلى الحقائب عند جدار المحطة. كانت عليها بطاقات تعريف من كل الفنادق التي أمضيا فيها لياليهما.
قال: "لكنني لا أريدكِ أن تجربيها، لا يهمني أي شيء يتعلق بها" .
قالتْ الفتاة: "سأصرخ" .
خرجت المرأة من وراء الستائر بكأسّي بيرة ووضعتهما على اللبادتَينْ الرطبتَينْ. قالت: "يصل القطار خلال خمس دقائق" .
سألت الفتاة: "ماذا قالت؟"
ـ "بأن القطار سيصل خلال خمس دقائق" .
ابتسمت الفتاة ابتسامة مشرقة للمرأة، لتشكرها.
قال الرجل: "يحسن أن أنقل الحقائب إلى الجانب الآخر من المحطة" . ابتسمت له.
ـ "حسناً. ثم عُد وسننهي البيرة" .
التقط الحقيبتَينْ الثقيلتَينْ وحملهما ودار بهما حول المحطة إلى

الخطوط الأخرى. نظر إلى الخطوط لكنه لم يرَ القطار. بعدما عاد، مشى عبر قاعة المشرب، حيث كان الناس المنتظرين للقطار يشربون. شرب كأس آنيس على نضد حاجز المشرب ونظر إلى الناس. كانوا كلهم ينتظرون القطار على نحو عقلاني. خرج من خلال ستارة الخرز. كانت تجلس إلى الطاولة وابتسمت له.

سأل: "هل تحسين بتحسن؟"

قالت: "أحس بأنني في حال حسنة. لا يوجد أي شيء مزعج. أحسّ بأنني في حال حسنة".

القَتَلة

انفتح باب قاعة الأكل في محل هنري ودخل رجلان. جلسا على كرسيَيْن إلى جانب النضد الحاجز.

سألهما جورج: "ما طلبكما؟"

قال أحد الرجلَيْن: "لا أعرف. ماذا تريد أن تأكل يا آل؟"

قال آل: "لا أعرف. لا أعرف ما أريد أن آكل".

في الخارج بدأ الظلام يخيم. أضاء نور الشارع في خارج النافذة. قرأ الرجلان الجالسان إلى النضد الحاجز قائمة الطعام. من الطرف الآخر للحاجز راقبهما نِك آدمز. كان يتحدث إلى جورج حينما دخلا.

قال الرجل الأول: "أريد قطعة مشوّية من خاصرة خنزير مع صلصة تفاحٍ وبطاطا مهروسة".

ـ"ليستْ جاهزة بعد".

ـ"أي جحيم جعلك تضعها في القائمة؟"

أوضح جورج: "ذلك هو العشاء. تحصل عليها في الساعة السادسة".

نظر جورج إلى الساعة على الجدار خلف النضد الحاجز.

ـ"إنها الساعة الخامسة".

قال الرجل الثاني: "تقول الساعةُ الخامسةَ وعشرين دقيقة".

ـ "إنها متقدمة بعشرين دقيقة".

قال الرجل الأول: "أوه، إلى الجحيم بالساعة. ماذا لديك للأكل؟"

قال جورج: "يمكنني إعطاءكما أي نوع من الشطائر. يمكنكما أخذ فخذ خنزير وبيض، لحم خنزير مقدّد وبيض، كبدة ولحم خنزير مقدّد أو شريحة لحم بقر".

ـ "أعطني مفركة دجاج مع بازلاء خضراء وصلصة قشدة وبطاطا مهروسة".

ـ "ذلك هو العشاء".

ـ "كل ما نطلبه هو العشاء، إيه؟ تلك هي الطريقة التي تعملون بها؟"

ـ "يمكنني تقديم فخذ خنزير وبيض، خنزير مقدّد وبيض، كبدة ـ"

قال الرجل المدعو آل: "سآخذ لحم خنزير وبيض". كان يعتمر قبعة مستديرة ديربية ويلبس معطفاً طويلاً أسود مزرر على الصدر. كان وجهه صغيراً وأبيض وله شفتان مزمومتان. كان يضع لفاع رقبة حريري وقفاز.

قال الرجل الآخر: "أعطني لحم خنزير مقّدد وبيض". كان حوالي حجم آل. كان وجهاهما مختلفين، لكنهما كانا يلبسان كتوأمين. كل منهما لبس معطفاً طويلاً وضيّقاً جداً عليهما. جلسا مائلينَ إلى الأمام، مرفقاهما على الحاجز.

سأل آل: "عندك أي شيء للشرُب؟"

قال جورج: "بيرة فضية، بيفو، جعة زنجيل".

ـ"أعني عندك أي شيء للشرب؟"
ـ"فقط ذلك الذي قلته".
قال الآخر: "هذه بلدة حارة. ماذا يدعونها؟"
ـ"سَمِت".
سأل آل صديقه: "سمعتَ بها من قبل؟"
قال صديقه: "لا".
سأل آل: "ما الذي تفعلونه هنا في الليالي؟"
قال صديقه: "يأكلون العشاء. كلهم يأتون إلى هنا ويأكلون العشاء الهائل".
قال جورج: "ذلك صحيح".
سأل آل جورج: "إذن أنتَ ترى أن ذلك صحيح؟"
ـ"أكيد".
ـ"أنتَ ولد ذكي جداً، أليس كذلك؟"
قال جورج: "أكيد".
قال الرجل الآخر الضئيل: "حسناً، أنتَ لستَ ذكياً. أليس كذلك يا آل؟"
قال آل: "إنه غبي". التفتَ إلى نِك. "ما اسمك؟"
ـ"آدمز".
قال آل: "ولد ذكي آخر. أليس هو ولد ذكي يا ماكس؟"
قال ماكس: "البلدة مليئة بالأولاد الأذكياء".
وضع جورج الطبقَيْنْ الكبيرَيْن، واحد من لحم فخذ خنزير وبيض، الآخر من لحم خنزير مقدّد وبيض، على النضد الحاجز. وضع طبقَيْنْ جانبيَيْنْ صغيرَيْن من بطاطا مقلية وأقفل الخوخة المطلة

على المطبخ.

سأل آل: "أيهما لك؟"

ـ"ألا تذكر؟"

ـ"لحم فخذ خنزير وبيض".

قال ماكس: "ولد ذكي تماماً". مال إلى الأمام وأخذ لحم فخذ الخنزير والبيض. أكل كلا الرجلين وقفازاهما على أيديهما. راقبهما جورج وهما يأكلان.

نظر ماكس إلى جورج: "ما الذي تنظر إليه؟"

ـ"لا شيء".

ـ"إلى جحيم كنتَ تنظر. كنتَ تنظر إليّ".

قال آل: "ربما قصدَ الولد هذا كمزحة يا ماكس".

ضحك جورج.

قال ماكس له: "يجب ألا تضحك. يجب ألا تضحك أبداً، ترى هذا؟"

قال جورج: "حسن".

التفتَ ماكس إلى آل. "إذن هو يظن أن الأمر حسن. يفكر أنه حسن. ذلك أمر جيد".

قال آل: "أوه إنه مفكر". تابعا الأكل.

سأل آل ماكس: "ما اسم الولد الذكي أسفل الحاجز؟"

قال ماكس لنِك: "هيه، أيها الولد الذكي. دُر أنت إلى الجانب الآخر من الحاجز مع صديقك".

سأل نِك: "ما الفكرة؟"

ـ"لا توجد أي فكرة".

قـال آل: "يحـسـن أن تـدور أيهـا الولد الذكي". دار نِك خلف الحاجز.

سأل جورج: "ما الفكرة؟"

قال آل: "ليس من شأنكَ اللعين. مَنْ في المطبخ؟"

ـ "الزنجي".

ـ "ماذا تعني الزنجي؟"

ـ "الزنجي الذي يطبخ".

ـ "قل له أن يدخل".

ـ "ما الفكرة؟"

ـ "قل له أن يدخل".

ـ "أين تظن نفسك؟"

قـال المدعـو مـاكس: "نحن نعـرف جيداً كلعنة أين نحن. هل نبدو بلهاء؟"

قـال آل له: "أنتَ تتكلم بلاهةً. لأي جحيم تجادل هذا الولد؟"

قال لجورج: "إسمع. قل للزنجي أن يخرج ويأتي إلى هنا".

ـ "ما الذي ستفعله به؟"

ـ "لا شيء. اسـتعمل عقلك أيها الولد الذكي. ما الذي سنفعله بزنجي؟"

فـتح جـورج الشقّ الذي ينفتح على المطبخ. نادى: "سام. تعال إلى هنا دقيقة".

انـفـتـح بـاب المـطـبـخ ودخـل الـزنجي. سأل: "مـاذا؟" ألقى الرجلان الجالسان إلى النضد الحاجز نظرة عليه.

قال آل: "حسناً يا زنجي. قف أنتَ هناك تماماً".

نـظـر سـام الزنجي، الواقف بمئزرته، إلى الرجلين الجـالسين إلى النضد الحاجز. قال: "نعم يا سيدي". نزل آل عن كرسيه.

قـال: "سـأرجـع إلى المـطـبـخ مع الزنجي والولد الذكي. عُد إلى المطبخ يا زنجيّ. أنتَ تذهب مـعه أيها الولد الذكي". مشى الرجل الضئيل وراء نِك وسـام، الطبّاخ، راجـعين إلى داخل المطبخ. انغلق البـاب وراءهم. جلس الرجل المدعو ماكس إلى النضد الحاجز أمام جـورج. لم ينظر إلى جـورج لكنه نظر في المرآة المثبّتة خلف النضد. كـان محل هنري قد حُوّل من صالون إلى مطعم مأكولات خفيفة.

قـال ماكس وهو ينظر في المرآة: "حسناً أيها الولد الذكي، لماذا لا تقول شيئاً؟"

ـ"حول ماذا كل هذا؟"

نادى ماكس: "هيه يا آل، يريد الولد الذكي أن يعرف معنى كل هذا".

جـاء صوت آل من المطبخ: "لماذا لا تخبره؟"

ـ"ما الذي ترى معنى كل هذا؟"

ـ"لا أعرف".

ـ"ما الذي تفكر فيه؟"

واصل ماكس النظر في المرآة طيلة الوقت الذي كان يتكلم فيه.

ـ"لن أقول".

ـ"هـيـه، آل، يـقـول الولد الذكي بأنه لن يخبرنا بما يفكر به عن معنى كل هذا".

قـال آل مـن المطبخ: "أنا أسـمـعك، تماماً". دَفَع وفـتح الشق الذي تمر منه الأطبـاق إلى المطبخ مع قنينة صلصـة. قال من المطبخ

لجورج: "إسمع أيها الولد الذكي. قف أبعد قليلاً على الحاجز. تحرّك قليلاً إلى اليسار يا ماكس". كان كمصوّر يرتب لأخذ صورة جماعية.

قال ماكس: "قل لي أيها الولد الذكي. ما الذي تفكر بأنه سيحدث؟"

لم يقل جورج شيئاً.

قال ماكس: "سأخبرك. سنقتل سويدياً. هل تعرف سويدياً ضخماً يسمى أولي أندرسون؟"

ـ"نعم".

ـ"يأتي إلى هنا ليأكل كل ليلة، أليس كذلك؟"

ـ"أحياناً يأتي إلى هنا".

ـ"يأتي إلى هنا في الساعة السادسة، أليس كذلك؟"

ـ"إذا أتى".

قال ماكس: "نحن نعرف كل هذا أيها الولد الذكي. تكلم عن شيء آخر. تذهب إلى دور العرض؟"

ـ"من وقت إلى آخر".

ـ"يجب أن تذهب إلى دور العرض أكثر. دور العرض جيدة لولد ذكي مثلك".

ـ"لماذا ستقتلان أولي أندرسون؟ ما الذي فعله بكما؟"

ـ"لم تتح له أي فرصة لفعل أي شيء بنا. إنه حتى لم يرنا أبداً".

قال آل من المطبخ: "وسيرانا فقط مرة واحدة".

سأل جورج: "لماذا ستقتلانه، إذن؟"

ـ"سنقـتله من أجل صديق. فقط لنقدم خدمة لصديق أيها الولد الذكي".

قـال آل من المطبخ: "إخـرس. أنت تتكلم كـثيراً جـداً إلى حـد لعين".

ـ"حـسن. لا بد أن أسلي الولد الذكي. أليس كـذلك أيها الولد الذكي؟"

قـال آل: "أنتَ تتكلم كـثيراً جـداً إلى حد لعين. الزنجي وولدي الذكي يسليان نفسيهما. قيدتَهما كصديقتَيْنْ في دير".

ـ"أظن أنك كنتَ في دير".

ـ"لن تعرف هذا أبداً".

ـ"كنتَ في دير يهوديّ. هناك كنت بالتأكيد".

رفع جـورج نظره إلى الساعة.

ـ"إذا دخـل أي شـخـص أخـبره بـأن الـطبـآخ خـرج، إذا بقي بعـدئذ، أخبره بأنك سـتـدخل المطبخ وتطبخ بنفسك. فهمتَ ذلك أيها الولد الذكي؟"

قال جورج: "تمام. ما الذي ستفعلانه بنا بعد ذلك؟"

قـال مـاكس: "ذلك يعـتـمـد. ذلك أحـد تلك الأمور التي لن تعرفها أبداً إلآ في وقتها".

رفع جـورج نظرة إلى السـاعـة. كـانتْ السـادسـة وربع. انفتح الباب من الشارع. دخل سائق سيارة أجرة.

قال: "مرحباً يا جورج. أيمكنني تناول العشاء؟"

قـال جورج: "خرج سام. سيعود بعد حوالي نصف ساعة".

قـال السـائق: "يحسن أن أذهب إلى أعلى الشـارع". نظر جورج

إلى الساعة. كانت السادسة وعشرين دقيقة.

قال ماكس: "كان ذلك حسناً أيها الولد الذكي. أنتَ شاب مهذب منظّم".

قال آل من المطبخ: "عَرف أنني كنت سأنسف رأسه".

قال ماكس: "لا. ليس كذلك. الولد الذكي جيّد. إنه ولد جيد. أنا أحبه".

في الساعة السادسة وخمس وخمسين قال جورج: "إنه لن يأتي".

دخل شخصان آخران قاعة الطعام. مرةً، دخل جورج المطبخ وأعد شطيرة لحم فخذ خنزير مع بيض أراد رجل أن يأخذها معه. داخل المطبخ رأى آل، وقبعته المستديرة الديربية مرفوعة إلى الخلف، جالساً على كرسي عالٍ إلى جانب الخوخة وفوهة بندقية رشاشة ترتكز على الرف. التصق ظهر نِك بظهر الطبّاخ في ركن المطبخ، وفوطة ربطتْ في فم كل منهما. سخّن جورج الشطيرة، لفّها بورقة مزيّتة، دسها في كيس، أخرجها معه إلى الصالة، فدفع الرجل ثمنها وخرج.

قال ماكس: "الولد الذكي يمكنه أن يفعل كل شيء. يستطيع الطبخ وكل شيء. ستجعل من فتاة زوجةً رائعة أيها الولد الذكي".

قال جورج: "نعم. صديقك، أولي أندرسون، لن يأتي".

قال ماكس: "سنعطيه عشر دقائق".

راقب ماكس المرآة والساعة. أشار عقربا الساعة إلى الساعة السابعة، ثم خمس دقائق بعد السابعة.

قال ماكس: "هيا يا آل. يحسن أن نذهب. لن يأتي"

قال آل من المطبخ: "يحسن أن نعطيه خمس دقائق".

خلال الخمس دقائق دخل رجل، فأوضح جورج أن الطبّاخ مريض.

سأل الرجل: "لماذا بحق الجحيم لا تأتوا بطبّاخ آخر؟ ألا تديرون قاعة طعام؟" خرج.

قال ماكس: "هيا يا آل".

-"ماذا بشأن الولدين الذكيين والزنجي؟"

-"إنهم على ما يرام".

-"تظن هذا؟"

-"أكيد. انتهينا من العملية".

قال آل: "أنا لا أحبها. إنها قذرة. أنتَ تتكلم كثيراً جداً".

قال ماكس: "أوه، أي جحيم. لابد أن نظلّ متسلين، أليس كذلك؟"

قال آل: "أنت تتكلم كثيراً جداً، على أي حال". خرج من المطبخ. كوّنت ماسورتا البندقية المقطوعتان نتوءاً خفيفاً تحت خصر معطفه الطويل الضيّق جداً. مسد معطفه بيديه المقفّزتين.

قال لجورج: "وداعاً أيها الولد الذكي. لديك حظ كبير".

قال ماكس: "تلك هي الحقيقة. يجب أن تراهن في السباق أيها الولد الذكي".

خرج كلاهما من الباب. راقبهما جورج، من النافذة، يمران تحت النور القوسّي ويعبران الشارع. بمعطفيهما الطويلين الضيّقين وقبعتيهما المستديرتين الديربيتين بديا كفريق تمثيل تهريجي. عاد جورج إلى المطبخ من الباب الدّوار وحلّ رباط نِك والطبّاخ.

قـال سـام، الطبـاخ: "لا أريد أكثر من ذلك. لا أريد أكثر من ذلك".

وقف نِك. لم تُوضع في فـمه فوطة من قبل.

قـال: "قُل. ما هذا الجحيم؟" كان يحاول أن يبعد ما جرى عن ذهنه.

قـال جورج: "كانا سيقتلان أولي أندرسون. كانا سيطلقان عليه النار حين يدخل ليأكل".

ـ "أولي أندرسون؟"

ـ "أكيد".

تحسس الطباخ زاويتي فمه بإبهاميه.

سأل: "ذهب كلاهما؟"

قال جورج: "نعم. ذهبا الآن".

قال الطباخ: "أنا لا أحب هذا. أنا لا أحب أياً منه إطلاقاً".

قـال جـورج لـنِك: "إسـمـع. يحـسـن أن تـذهـب وتـرى أولي أندرسون".

ـ "تمام".

قـال سـام، الطبـاخ: "يحسن ألا تتـورطا بهذا إطلاقاً. يحسن أن تبتعدا عنه".

قال جورج: "لا تذهب إذا كنتَ لا تريد".

قـال الطباخ: "تدخلكما في هذا لن يوصلكما إلى أي مكان. إبقيا خارجه".

قـال نِك لجورج: "سأذهب لأراه. أين يعيش؟"

ابتعد الطباخ.

قـال: "يعرف الأولاد الصغار دائماً ما يريدون فعله" .

قـال جـورج لـنِك: "إنـه يـعـيش في نزل هيرش لتأجير الغـرف المفروشة" .

ـ"سأذهب إلى هناك" .

في الخـارج، لمع النور القـوسّي خـلال فروع شجرة عارية. مشى نِك في الشـارع إلى جـانب مـسارات السيارات ودار عند عمود النور القـوسي التـالي متـجـهـاً إلى شارع جانبيّ. على بُعد ثلاثة منازل في أعـلى الشـارع يقع نزل هيرش لتأجير الغـرف المفـروشـة. ارتقى نِك الدرجـتَيْنِ وضغط على الجرس. جاءت امرأة إلى الباب.

ـ"هل أولي أندرسون هنا؟"

ـ"هل تريد أن تراه؟"

ـ"نعم، إذا كان في الداخل" .

تبع نِك المرأة مـرتقـيـاً مجمـوعـة درجـات لـيـدور سائراً إلى نهاية الرواق. طرقتْ الباب.

ـ"مَنْ؟"

قالت المرأة: "إنه شخص يريد أن يراك يا مستر أندرسون" .

ـ"إنني نِك آدمز" .

ـ"أدخل" .

فـتح نِك البـاب ودخل الغرفة. كان أولي أندرسون مستلقياً على السرير ومـرتدياً كـامل مـلابسه. كان ملاكماً محترفاً من الوزن الثقيل وأطـول مـن الـسريـر. اسـتلقى ورأسـه على وسـادتَيْنِ. لم ينظر إلى نِك.

سأل: "ما الأمر؟"

قـال نِك: "كـنـتُ في مـطـعـم هنري، وأتى رجـلان أوثقـاني أنا والطبّاخ، وقـالاً إنهما سيقتلانك".

بدا كـلامه سخيفاً حين قال هذا. لم يقل أولي أندرسون شيئاً.

تابع نِك: "حـجـزونا في المطبخ. كانا سيطلقان النار عليكَ حين تدخل للعشاء".

نظر أولي أندرسـون إلى الحائط ولم يقل شيئاً.

ـ"رأى جـورج بـأنه يحسن أن آتي وأخبرك بهذا".

قـال أولي أندرسون: "لا يوجد شيء أستطيع فعله حيال هذا".

ـ"سأخبرك عن أوصـافهما".

قـال أولي أندرسـون: "لا أريد أن أعـرف أوصـافـهما". نظر إلى الحائط. "شكراً لمجيئك لتخبرني بهذا".

ـ"ذلك حسن".

نظر نِك إلى الرجل الضخم المستلقي على السرير.

ـ"ألا تـريد مني أن أذهب وأرى الشرطة؟"

قـال أولي أندرسون: "لا. لن يفيد هذا في شيء".

ـ"ألا يوجد شيء يمكنني أن أفعله؟"

ـ"لا. لا يوجد أي شيء نفعله".

ـ"قد تكون مجرد خدعة".

ـ"لا. ليست مجرد خدعة".

تقلّب أولي أندرسون نحو الحائط.

قال، متكلماً إلى الحائط: "الشيء الوحيد هو أنني فقط لم أقرر أن أخرج. بقيتُ هنا طيلة النهار".

ـ"ألا يمكنك مغادرة المدينة؟"

قـال أولي أندرسـون: "لا. لقـد أنتهيت من كل ذلك الجري من مكان إلى آخر".

نظر إلى الحائط.

ـ"لا يوجد أي شيء أفعله الآن".

ـ"ألا يمكنك تسوية هذا بطريقة من الطرق؟"

قـال بنفس الصـوت السطحي الخافت: "لا. تورطتُ في الخطأ. لا يوجـد أي شيء أفعله. بعد وهلة سأقرر الخروج".

قـال نِك: "يحسن أن أذهب وأرى جورج".

قـال أولي أندرسـون: "إلى اللقـاء". لم ينظر نحـو نِك. "شكراً على حضورك".

خـرج نِك. فـيما هو يغلق البـاب، رأى أولي أندرسـون في كامل ملابسة، مستلقياً على السرير ناظراً إلى الحائط.

قـالتْ صـاحـبـة النزل في الطابق الأرضي. "ظلّ في غرفته طيلة النهـار. أظن أنه متوعك. قلتُ له: 'سيد أندرسون، لابد أن تخرج وتتـمشى في يوم خريفي جميل كهذا'. لكنه لم يكن راغباً في هذا".

ـ"إنه لا يريد أن يخرج".

قـالت المرأة: "أنا آسفة لأنه متوعك. إنه رجل لطيف جداً. كان في الحلبة، أنتَ تعرف هذا".

ـ"أعرف هذا".

قـالت المرأة: "لن تعـرف هذا أبداً إلآ من شكل وجـهـه". وقفا يتحدثان داخل باب الشارع تماماً. "إنه مهذب تماماً".

قال نِك: "حسناً، تصبحين على خير يا مسز هيرش".

قـالت المرأة: "أنا لست مـسز هيرش. إنها تملك المكان. أنا أقوم

فقط بالعناية به لها. أنا مسز بيل".
قال نِك: "حسناً. تصبحين على خير يا مسز بيل".
قالتْ المرأة: "تصبح على خير".
سار نِك في الشارع المظلم متجهاً إلى الركن تحت أعمدة النور القوسّي، ثم على خط السيارات متجهاً إلى مطعم هنري. كان جورج في الداخل، خلف النضد الحاجز.
ـ "هل رأيتَ أولي؟"
قال نِك: "نعم. إنه في غرفته ولن يخرج".
فتح الطبّاخ الباب من المطبخ حين سمع صوت نِك.
قال: "أنا حتى لا أصغي إلى هذا"، وأغلق الباب.
سأل جورج: "هل أخبرتَه بهذا؟"
ـ "أكيد. أخبرتُه لكنه يعرف كل شيء حول هذا".
ـ "ما الذي سيفعله؟"
ـ "لا شيء".
ـ "سيقتلونه".
ـ "أظن أنهم سيقتلونه".
ـ "لابد أنه تورط في شيء ما في تشيكاجو".
قال نِك: "أظن هذا".
ـ "إنه شيء جهنمي".
قال نِك: "إنه شيء رهيب".
لم يقولا شيئاً. مدّ جورج يده إلى فوطة ومسح النضد الحاجز.
قال نِك: "أتساءل، ما الذي فعله؟"
ـ "خان شخصاً ما. لذلك السبب يقتلونهم".

قال نِك: "سأغادر هذه البلدة" .

قال جورج: "نعم. ذلك شيء حسن تفعله" .

ـ"لا أحتمل التفكير فيه منتظراً في غرفته عارفاً بأنه سيُقتل. إنه وضع رهيب لعين جداً" .

قال جورج : "حسناً، يحسن ألاّ تفكر بهذا" .

CHE TI DICEL PATRIA

ماذايقول الوطن؟

كان طريق الممر الجبلي صلباً وممهداً ولم يكن مترباً بعدُ في هذه الساعة المبكّرة من الصباح. في الأسفل امتدت التلال التي كستها أشجار بلوط وكستناء، بعيداً في الأسفل امتد البحر. في الجانب الآخر انتصبت جبال مكسوّة بالثلوج.

هبطنا من الممر الجبلي عبر أرض تغطيها الغابات. تكوّمت أكياس من الفحم النباتي على جانب الطريق، وخلال الأشجار رأينا أكواخ الفحّامين. كان يوم أحد وجرى الطريق، صعوداً ونزولاً، لكنه دائماً هابطاً بعيداً عن ارتفاع الممر الجبلي، عَبْرَ أجمة الشجيرات الخفيضة وبين قرى.

خارج القرى انتشرت كروم العنب. كانت الكروم بنيّة والأعناب خشنة وكثيفة. كانت البيوت بيضاء، والرجال في الشوارع، في ملابس الأحد، يلعبون كرات البولة bowls. قرب جدران بعض البيوت انتشرت أشجار كمثرى، امتدت فروعها كشمعدانات متشعبة على الجدران البيضاء. رُشت أشجار الكمثرى، فتلطخت جدران البيوت ببقع خضراء مزرقة معدنية من بخار الرش. امتدت أراض مكشوفة صغيرة حول القرية حيث ينمو العنب، ثم الغابات.

في قـرية، تعلو عشرين كـيلومتراً فـوق سـبيزيا، تجمع جمهور من الناس في السـاحـة، واقترب شـاب يحمل حـقـيـبة سفر من السيارة وطلب منا أن نأخذه إلى سبيزيا.

قـلت: "يوجـد مكانان فـقط، وهما مـشـغـولان". كـانت لدينا سـيارة فورد قديمة من نوع كوبيه.

-"سأركب في الخارج".

-"لن تكون مرتاحاً".

-"لا يهم. يجب أن أذهب إلى سبيزيا".

سألتُ جاي: "هل نأخذه؟"

-"يبـدو أنه سـيـذهب على أي حـال". أدخل الشابُ صّرة من خلال النافذة.

قـال: "اعـتنِ بهذه". ربط رجلان حقيبته على ظهر السيارة فوق حـقـائبنا. صـافح الكل، موضحاً أنه بالنسبة إلى فاشّي ورجل اعتاد على السـفـر كما هي الحـال مـعـه نفسه لا يوجد إزعاج، ثم تسلّق رفـرف الأقـدام على الجـانب الأيسر من السـيـارة، مـتـشـبثاً بداخل السـيـارة، وذراعه اليمنى داخل النافذة المفتوحة.

قـال: "يـمـكـنك الانطلاق". لوّح الجـمـهـور. لوّح هو بيـده الطليقة.

سألني جاي: "ماذا قال؟"

-"أننا يمكننا الانطلاق".

قال جاي: "أليس هو لطيفاً؟"

تبع الطريقُ نهراً. عبر النهـر ارتفـعت جـبـال. كـانت الشـمس تخرج الصـقـيع من العـشب. كـان الجـو مشرقـاً وبارداً والهواء يهب

بارداً من حاجب الريح المفتوح.

ـ"كيف ترى مدى رضاه عن الخارج هناك؟" كان جاي يرفع نظره إلى الطريق. كانت رؤيته لخارج جانب السيارة محجوباً من قبل ضيفنا. نتأ الشاب من جانب السيارة كتمثال مقدمة سفينة. كان قد رفع ياقة معطفه إلى أعلى وشدّ قبعته إلى أسفل وبدا أنفه بارداً في الريح.

قال جاي: "قد يأخذ كفايته منها. ذلك هو الجانب الذي يتأطر عليه صعلوكنا".

قلت: "أوه، سيتركنا إذا انفجرت إحدى إطاراتنا. لن يرضى بأن تتسخ ملابسه للسفر".

قال جاي: "حسناً. لا أبالي به ـ ماعدا ميلانه إلى الخارج عند المنعطفات".

اختفت الغابة؛ ابتعد الطريق عن النهر ليصعد عالياً، كان المشعّ يغلي؛ بدا الشاب قلقاً وشكّ بالبخار والماء الصدىء؛ وكان المحرك يصّر، وكلتا قدميّ جاي على دوّاسة السرعة الأولى، أعلى فأعلى، إلى الخلف وإلى الأمام، أعلى، وأخيراً، امتد الطريق مستوياً. توقف الصرير، وفي الهدوء الجديد انطلقت خضخضة وبقبقة عاليتَيْن في المشعّ. كنا على قمة آخر سلسلة فوق بلدة سبيزيا والبحر. انحدر الطريق بمنعطفات قصيرة ودائرية تماماً. تدلى ضيفنا مع أماكن الدوران وكاد يسحب السيارة ثقيلة القمة معه.

قلتُ لجاي: "لا يمكنك أن تطلب منه ألا يفعل ذلك. إنه إحساسه بغريزة البقاء".

ـ"الإحساس الإيطالّي العظيم".

ـ"أعظم إحساس إيطاليّ".

هبطنا حول منعطفات، عبر غبار عميق، والغبار يذرّر أشجار الزيتون. امتدت سبيزيا تحت على طول البحر. انبسط الطريق خارج البلدة. أدخل ضيفنا رأسه من النافذة.

ـ"أريدُ أن أتوقف".

قلتُ لجاي: "أوقفها".

أبطأنا، على جانب الطريق. نزل الشاب، ذهب إلى مؤخرة السيارة وحلّ حقيبة الملابس.

قال: "سأتوقف هنا، حتى لا تتورطا في متاعب لحملكما مسافرين. أمتعتي".

ناولته أمتعته. دسّ يده في جيبه.

ـ"كم أنا مدين لكما؟"

ـ"لا شيء".

ـ"لمَ لا؟"

قلت: "لا أعرف".

قال الشاب: "شكراً"، ليس "أشكركما" أو "أشكركما شكراً جزيلاً" أو "أشكركما ألف شكر"، كلمات كنتَ في السابق تقولها في إيطاليا لرجل حين يناولك جدول مواعيد أو يوضح اتجاهاً. نطق الشاب أقل صيغة شكر للكلمة: "شكراً" وألقى وراءنا بنظرة شك وجاي ينطلق بالسيارة. لوّحت بيدي له. كان أعظم من أن يرد. تابعنا إلى سبيزيا.

قلتُ لجاي: "ذلك شاب سيقطع طريقاً طويلاً في إيطاليا".

قال جاي: "حسناً، قطع عشرين كيلومتراً معنا".

وجبة طعام في سبيزيا

وصلنا إلى سبيزيا باحثَيْنِ عن مكان لنأكل. كان الشارع عريضاً والمنازل عالية وصفراء. تبعنا خط الترام إلى وسط المدينة. على جدران المنازل طُبعت صور موسوليني جاحظة العيون، وعلامات "فيفا" مرسومة باليد، وحرف V المزدوج بطلاء أسود مع قطرات دهان أسفل الجدار. هبطت الشوارع الجانبية إلى المرفأ. كان الجو مشرقاً وكان كل الناس قد خرجوا ليوم الأحد. كان الرصف الحجري قد رُشّ وانتشرت بقع مبلّلة على التراب. اقتربنا من حافة الطريق لنتجنب عربة ترام.

قال جاي: "لنأكل في مكان بسيط".

وقفنا أمام علامتيّ مطعمَيْن. كنا نقف على الجانب الآخر من الشارع واشتريتُ أنا الجرائد. كان المطعمان جنباً إلى جنب. ابتسمتْ لنا امرأة تقف في فتحة باب أحد المطعمين وعبرنا الشارع ودخلنا.

كان الداخل معتماً وفي مؤخرة الغرفة وُجدتْ ثلاث فتيات كن يجلسن إلى طاولة مع امرأة عجوز. على الجانب الآخر منا، إلى طاولة أخرى، جلس بحّار. جلس هناك دون أن يأكل أو يشرب. على مسافة أبعد إلى الخلف، كان شاب ببذلة زرقاء يكتب على طاولة. كان شعره مدهوناً بمرهم عطري ولامعاً وكان أنيقَ الملبس جداً وحسن المظهر.

تسلل النور من فتحة الباب، ومن خلال النافذة حيث رتبت

الخضار والفاكهة وشرائح وقطع اللحم في خزانة عرض. أتت فتاة وسجّلت طلباتنا ووقفت فتاة أخرى في فتحة الباب. لاحظنا أنها لم تلبس شيئاً تحت ردائها المنزلي. وضعتْ الفتاة التي أخذتْ طلباتنا ذراعها حول رقبة جاي بينما كنا ننظر في قائمة الطعام. كانتْ توجد ثلاث فتيات في المجموع، وتبادلن كلهن الأدوار بالذهاب والوقوف في فتحة الباب. تحدثتْ المرأة العجوز الجالسة إلى الطاولة في مؤخرة الغرفة إليهن وجلسن معها ثانية.

لم توجد فتحة باب تؤدي إلى الغرفة ما عدا المؤدية إلى المطبخ. تدلّتْ ستارة عليه. دخلتْ الفتاة التي سجّلتْ طلباتنا من المطبخ مع سباجيتي. وضعتْه على الطاولة وأحضرتْ قنينة نبيذ أحمر وجلستْ إلى الطاولة.

قلتُ لجاي: "حسناً. أردتَ الأكل في مكان بسيط".

ـ"هذا ليس بسيطاً. هذا معقد".

قالتْ الفتاة: "ماذا تقولان؟ هل أنتما ألمانيان؟"

قلت: "ألمانيان جنوبيان. الألمان الجنوبيون أناس لطفاء، محبوبون".

قالتْ: "لم أفهم".

سأل جاي: "ما هي آليات هذا المكان؟ هل أدعها تضع ذراعها حول رقبتي؟"

قلت: "أكيد. لقد ألغى موسوليني المواخير. هذا مطعم".

لبستْ الفتاة فستاناً من قطعة واحدة. مالت إلى الأمام على الطاولة ووضعت يديها على نهديها وابتسمت. إنها تبتسم من أحد الجانبَيْنْ على نحو أفضل من الجانب الآخر فأدارت الجانب الجيد

نحـونا. أزدادا سـحـر جـانب وجـهـها الجيد بفعل حادث مما جعل الجـانب الآخـر من أنفـهـا ناعمًا، كما يمكن أن يصـبـح شـمـع دافىء ناعمًا. لكن أنفـها لم يبدُ كشمع دافىء. كان بارداً جداً ومتيناً، لكنه ناعم فقط. سألتْ جاي: "تحبني؟"

قلت: "إنه يعبدك. لكنه لا يتكلم الإيطالية".

قالتْ: "ich spreche deutch / أنـا أتكلم الألمانيـة"، وربتت على شعر جاي.

ـ"تحدث إلى الفتاة بلغتك الوطنية يا جاي".

سألتْ السيدة: "من أين أتيتما؟"

ـ"بوتسدام".

ـ"وسـتبقيان هنا الآن لفترة قصيرة؟"

سألتُها: "في هذه العزيزة جداً سبيزيا؟"

قـال جـاي: "أخـبرها بأن علينا أن نذهب. أخبرها بأننا مـرضى مرضاً شديداً، وليس لدينا نقود".

قلت: "صديقي عدو للنساء. ألمانّي عتيق كاره للنساء".

ـ"أخبره أنني أحبه".

أخبرته.

قـال جـاي: "هل سـتـقـفل فـمك وتخرجنا من هنا؟" وضعتْ السـيدة ذراعاً أخرى حول عنقه. قالتْ: "أخبره بأنه لي". أخبرتُه.

ـ"هل ستخرجنا من هنا؟"

قالت السيدة: "أنتما تتشاجران. أنتما لا يحب أحدكما الآخر".

قلتُ بفخر: "نحن ألمانيان. ألمانيان جنوبيان عتيقان".

قـالت السيدة: "قل له إنه فتى جميل". جاي في الثامنة والثلاثين

ويشعر ببعض الفخر لحقيقة أنه يُعتبر بائعاً متجولاً في فرنسا.
قلتُ: "أنتَ فتى جميل".
قال جاي: "مَنْ يقول هذا؟ أنتَ أو هي؟"
-"هي. أنا مجرد مترجمك. أليس لهذا الغرض أخذتَني معك في هذه الرحلة؟"
قال جاي: "أنا سعيد لأنها هي التي قالتْه. ولا أريد أن أتركك وحدك هنا أيضاً".
-"لا أدري. سبيزيا مكان جميل".
قالت السيدة: "سبيزيا. أنتما تتحدثان عن سبيزيا".
قلتُ: "مكان جميل".
قالت: "إنها بلدتي. سبيزيا موطني وإيطاليا بلدي".
-"تقول بأن إيطاليا بلدها".
قال جاي: "قل لها بأنها تبدو بلدها".
سألتُها: "ماذا لديكم للتحلية؟"
قالت: "فواكه، لدينا موز".
قال جاي: "الموز على ما يرام. عليه قشور".
قالت السيدة: "آه. سيأخذ موزاً". عانقتْ جاي.
سأل: "ماذا قالتْ؟" مبقياً وجهه بعيداً عن طريقها.
-"هي مسرورة لأنك ستأخذ موزاً".
-"أخبرها بأنني لن آخذ موزاً".
-"السِنيور لن يأخذ موزاً".
قالت السيدة منكسرة الخاطر: "آه. لن يأخذ موزاً".
قال جاي: "قل لها إنني آخذ حماماً بارداً كل صباح".

ـ"السِنيور يأخذ حماماً بارداً كل صباح".

قالت السيدة: "لا فَهْم".

في الجـانب الآخـر منا، لم يتـحـرك البحّار المسؤول. لا أحد في المكان أولاه أي اهتمام.

قلتُ: "نريد الحساب".

ـ"أوه، لا. يجب أن تبقيا".

قـال الـشـابُ حـسـن المـظهـر من الطاولة التي يكتب عليـهـا.

"إسمعي. دعيهما يغادران. هذان الاثنان لا يساويان شيئاً".

أخذتْ السيدة يدي: "لن تبقى؟ لن تطلب منه أن يبقى؟"

قلتُ: "يجب أن نذهب. لا بد أن نصل إلى بيـزا، أو إنْ أمكن، إلى فـيرينز، الليلة. يمكننا تسليـة أنفسنا في تلك المدينتين في نهاية النهـار. الوقت نهار الآن. في النهار لا بد أن نقطع مسافة".

ـ"بقـاؤكما لفترة قصيرة حسن".

ـ"السـفر ضروري في نور النهار".

قـال الـشـابُ حـسـن المظهـر: "إسـمـعي. لا تزعـجي نفـسك بالتـحـدث إلى هذَيْن الشـخصَينْ. أقول لك بأنهما لا يساويان شيئاً وأنا أعرف هذا".

قلتُ: "أحضري لنا قـائمـة الحساب". أحضرتْ قائمة الحساب من المرأة العـجـوز وعادتْ وجلستْ إلى الطاولة. دخلتْ فتاة أخرى من المطبخ. عَبَرَتْ الغـرفة ووصلت إلى فتحة الباب وَوقفتْ فيها.

قـال الشـاب حسن المظهـر بصـوت مرهق: "لا تزعجي نفسك بهذين الشخصين. تعالّي وكلي. إنهما لايساويان شيئاً".

دفـعنا الفـاتورة ووقـفنا. جلستْ كل الفـتـيـات والمرأة العـجـوز

والشاب حسن المظهر إلى الطاولة معاً. جلس البحّار المسؤول ورأسه بين يديه. لا أحد تكلم إليه طيلة الوقت الذي أمضيناه على الغداء. أحضرتْ إلينا الفتاة باقي نقودنا التي عدّتها المرأة العجوز لها وعادتْ إلى مكانها إلى الطاولة. أبقينا نفحة/إكرامية على الطاولة وخرجنا. عندما جلسنا في السيارة مستعدَيْن للانطلاق، خرجتْ الفتاة ووقفتْ في الباب. انطلقنا ولوّحتُ لها. لم تلوّح لنا، لكنها وقفتْ هناك تنظر وراءنا.

بعد المطر

كان المطر يهطل غزيراً حين مررنا عبر ضواحي جنوا، مع أننا كنا نسير ببطء شديد خلف عربات الترام والشاحنات، رذّ الوحل السائل على جانبيّ ممر المشاة، فكان الناس يخطون مبتعدين إلى مداخل الأبواب وهم يروننا قادمين. في San Pier d Arena سان بيير دَ أرينا، الضاحية الصناعية خارج جنوا، امتد شارع عريض بمسارَيْن وقدنا سيارتنا في وسط الشارع لتفادي إرسال الوحل إلى الرجال الراجعين إلى بيوتهم من العمل. على يسارنا امتد البحر الأبيض المتوسط. كان يوجد بحر كبير جارياً وأمواج تتكسر والريح تحمل رشيش الماء إلى السيارة. كان قاع نهر، حين مررنا داخلين إيطاليا، عريضاً وكثير الحجارة وجافاً، يجري بنيّ اللون مرتفعاً حتى ضفتيه. غيرّ الماء البنيّ لون البحر والأمواج تخفّ وتصفو في تكسرّها، والنور يتخلل الماء الأصفر والقمم، التي أثارتها الريح، تهبّ عبر الطريق.

تجاوزتنا سيارة كبيرة، مسرعةً، فتطايرتْ صفحة ماء موحل عالياً وفوق شباك حاجز الريح ومشعّ السيارة. تحرّك منظّف حاجز الريح ذاتيّ الحركة إلى الخلف والأمام، ناشراً الطبقة الرقيقة على الزجاج. توقفنا وتناولنا الغداء في سيسترى. لم يكن في المطعم حرارة فأبقينا قبعاتنا ومعاطفنا علينا. كان بإمكاننا رؤية السيارة في الخارج، من النافذة. كانتْ مغطاة بالوحل وأوقفتْ إلى جانب بعض الزوارق التي سُحبت بعيداً عن الأمواج. في المطعم كنتَ ترى أنفاسك.

كانت الـ pasta asciuta /المعجنات الجافة لذيذة؛ كان للنبيذ طعم الشَبّه، فصببنا الماء فيه. بعدئذ أحضر النادل شريحة لحم بقري وبطاطا مقليّة. جلس رجل وامرأة في الطرف القصّي من المطعم. كان متوسط العمر وكانت هي صغيرة السن وتلبس الأسود. طيلة وجبة الطعام راحتْ تنفث أنفاسها في الهواء البارد الرطب. كان الرجل ينظر إلى أنفاسها ويهزّ رأسه. أكلا دون أن يتكلما وأمسك الرجل بيدها من تحت الطاولة. كانت جميلة وبديا حزينَيْن جداً. كانت معهما حقيبة سفر.

كانت لدينا الصحف وقرأتُ وصف ملاكمة شنغهاي بصوت عالٍ لجاي. بعد الوجبة، غادر جاي المحل مع النادل بحثاً عن مكان لا وجود له في المطعم، ونظفتُ زجاجَ حاجزِ الريح، الأنوارَ ولوحةَ الأرقام بخرقة. عاد جاي وقدنا السيارة إلى الوراء وأخرجناها وانطلقنا. كان النادل قد أخذه عبر الطريق إلى داخل بيت قديم. كان الناس في البيت شكّاكين فبقي النادل مع جاي ليتأكد من أن شيئاً لم يُسرق.

قـال جـاي: "مع أنني لم أعرف كيف، وأنا لستُ سبّاكاً، توقعوا أن أسرق شيئاً".

حين صعدنا إلى رأس بحريّ وراء البلدة، ضربتْ الريح السيارة وكادت تقلبها.

قال جاي: "هذا جيد، إنها تدفعنا بعيداً عن البحر".

قلت: "حسناً. أغرقتْ الشاعر شيلي في مكان ما هنا".

قـال جـاي: "كـان ذلك في الأسـفل قـرب فـياريجيو. هل تذكر الغرضِ الذي جئنا من أجله إلى هذه البلاد؟"

قلتُ: "نعم. لكننا لم نحصل عليه".

ـ"سنخرج منها هذه الليلة".

ـ"لو أمكننا المرور قرب فينتيمليا".

ـ"سنرى. لا أحب قـيـادة السيارة على هذا الساحل ليلاً". كان الوقت ساعـة مبكّرة من بعد الظهر والشمس اختفت. تحت، كان البـحـر أزرق بقـمم بيضاء جارياً نحو سافونا. بعيداً وراء لسان البر تـلاقـت الميـاة البنيّة والزرقـاء. أمـامنا، اقترب زورق بخـاري شـارد نحو الساحل.

سأل جـاي: "هل لا زلتَ ترى جنوا؟"

ـ"أوه، نعم".

ـ"لابد أن رأس البر الكبير التـالي سيبعدها عن الأنظار".

ـ"لـكـن سـنـراهـا لمـدة طـويـلـة. لا أزال أسـتطيع رؤية رأس بورتوفـينو خلفها".

أخـيراً، لم نـعـد نرى جنوا. نظرتُ إلى الخلف بعـد خـروجنا ولم يكن هناك سوى البحر، وفي الأسفل في الخليج، امتد خط شاطىء

مع قوارب صيد، وفي الأعلى، على جانب تل، استقرتْ بلدة ثم رؤوس بر بعيداً في أسفل الساحل.

قلتُ لجاي: "اختفتْ الآن".

ـ"أوه، اختفتْ منذ وقت طويل".

ـ"لكننا لا يمكننا التأكد إلا بعد أن نخرج من هنا".

كانتْ هناك علامة عليها صورة منعطف على شكل S. دارت الطريق حول لسان البر وهَبَّتْ الريح من خلال الشقّ في زجاج حاجز الريح. تحت الرأس امتدت قطعة أرض منبسطة إلى جانب البحر. جففتْ الريحُ الطيَن وبدأتْ العجلات ترفع الغبار. على الطريق المنبسط مررنا بـِ فاشّي يركب دراجة هوائية، ومسدس ثقيل في جراب على ظهره. حجز وسط الطريق وهو على دراجته فدرنا خارج الطريق لنجتازه. رفع نظره إلينا حين مررنا به. أمامنا وُجد تقاطع سكة حديد، وحين اقتربنا منه هبطتْ بوّاباته.

فيما نحن ننتظر، اقترب الفاشّي على دارجته. ابتعد القطار وشغّل جاي المحرك.

صاح رجل الدراجة من وراء السيارة: "انتظر. رقمك قذر".

خرجتُ بخرقة. كان الرقم قد نُظّف عند الغداء.

قلت: "تستطيع قراءته".

ـ"تظن هذا؟"

ـ"اقرأه".

ـ"لا أستطيع قراءته. إنه قذر".

مسحته تماماً بالخرقة.

ـ"كيف هو؟"

ـ"خمس وعشرون ليرة".

قلت: "ماذا؟ كنتَ تستطيع قراءته. إنه قذر فقط من حالة الطرق".

ـ"أنتَ لا تحب الطرق الإيطالية؟"

ـ"إنها قذرة".

ـ"خمسون ليرة". بصق في الطريق. "سيارتكما قذرة وأنتما قذران أيضاً".

ـ"حسناً. أعطني وصلاً مع اسمك".

أخرج دفتر وصولات، من أصل ونسخه، ومخرّم، حتى يُعطي أحد الجانبين للزبون، والجانب الآخر بعد ملئه يبقى ككعب. لم يكن هناك كربون لتسجيل ما كُتب على ورقة الزبون.

ـ"أعطني خمسين ليرة".

كتب بقلم لا يُمحى، قطع القطعة وناولها لي. قرأتُها.

ـ"هذه بخمسٍ وعشرين ليرة".

قال: "غلطة". غيرّ الخمس والعشرين ليرة إلى خمسين.

ـ"والآن الجانب الآخر. إجعله خمسين في الجزء الذي تستبقيه".

ابتسم ابتسامة إيطالية لطيفة وكتب شيئاً على كعب الوصل، مبعداً الدفتر حتى لا أرى.

قال: "انطلق قبل أن يصبح رقمك قذراً مرة أخرى".

قدنا السيارة مدة ساعتين بعد أن حلّ الظلام فنمنا في مينتوني في تلك الليلة. بدتْ مبهجةً جداً ونظيفة ومعقولة وجميلة. قدنا السيارة من فينتيميليا إلى بيزا وفلورنسا، عبر رومانيا إلى ريميني،

عـائديـن عـبر فـورلي وايمـولا وبولونيـا وبارمـا وبيـاشـينزا وجنوا ثم فـينتـيـمـيليـا مرة أخرى. استغرقتْ الرحلة كاملة عشرة أيام فقط. ومن الطبـيـعي، خلال رحلة قصيرة كهذه، لم تتح لنا فرصة أن نرى كيف كانت تجري الأمور في هذه البلاد أو مع هذا الشعب.

خمسون قطعة من فئة الألف دولار

سألتُه: "كيف تسير أمورك يا جاك؟"

يقـول: "رأيتَ وُلكوت هذا؟"

ـ"في الملعب فقط".

يقـول جـاك: "حـسناً. سأحـتـاج إلى الكثير من الحظ مع ذلك الفتى".

قـال سوجلير: "لن يستطيع أن يهزمك يا جاك".

ـ"أتمنى حتى الجحيم ألاّ يستطيع".

ـ"لن يستطيع هزيمتك بحفنة طلقات طير".

يقـول جـاك: "ستكون طلقات الطير على ما يرام. لن أهتم بأي طلقات طير".

قلت: "يبدو أن من السهل أن يُهزم".

يقـول جـاك: "أكيد. لن يصمد طويلاً. لن يصمد مثلي ومثلك يا جيري. لكن الآن تماماً لديه كل شيء".

ـ"ستضربه بيدك اليسرى حتى الموت".

يقول جاك: "ربما. أكيد. لدي فرصة لذلك".

ـ"عالجه كما عالجتَ رِتشي لويس".

قال جاك: "رِتشي لويس. ذلك ألـ كايك!"

كـنـا ثـلاثـتـنـا: جـاك بـريـنان وسـوجلير بارتليت وأنا في مشرب

هاندلي. جلستْ امـرأتان إلى الطاولة المجاورة لنا. كانتا تشربان.

قـالت إحدى المرأتين: "ماذا تعني، كايك. ماذا تعني، كايك، يا متشرداً إيرلندياً ضخماً؟"

يقول جاك: "أكيد. هذا هو".

تـابع هذه المرأة: "كـايك. إنهم دائماً يتكلمـون عن الـ كـايك، هؤلاء الإيرلنديون الضخام. ماذا تعني، كايك؟"

ـ"هيا. لنخرج من هنا".

تـابع المرأة. "كـايك مَنْ رآك تشتري شراباً في أي وقت؟ زوجتك تخيط لك جيـوبك كل صبـاح. يا لهؤلاء الإيرلنديين وكايكـ يبهم! يستطيع رِتشي لويس لحسك أيضاً".

يقـول جاك: "أكيد. وأنتِ تقدمين أشياء كثيرة مجاناً أيضاً، أليس كذلك؟"

خـرجنا. ذلك كـان جـاك. كـان يقـول ما يريد قوله حين يريد قوله.

بدأ جـاك يتـدريب في مـزرعـة داني هوجَن الصـحية في جيرسي. كـان ذلك المكان جميـلاً لكن جـاك لم يعـجبه كثيراً. لم يحب الابتعاد عن زوجتـه وأطفـاله، وكـان عـصـبيـاً ونزقاً أغلب الوقت. أحبني وسـارت أمـورنـا جيـداً مـعـاً؛ أحـب هوجَن، لكن بعـد وهلة بدأ سـوبجير بارتليت يثير أعـصابه. لا بد أن شخصاً مزّاحاً يصبح رهيباً في أنحـاء مخيم إذا أصبح مـزاحـه نوعـاً لاذعـاً. كـان سوبجير دائماً يـمـزح مـع جـاك، مجرد نـوع مناكـدة ضـده طيلة الوقت. لم يكن مضحكاً جداً ولم يكن جيداً جداً وبدأ يثير أعصاب جاك. كان هذا النوع من المزاح. كـان جـاك ينهي الأوزان والحقيبة ويضع القفّاز.

يقـول لسوجير: "أنتَ تريد أن تعمل؟"

يسـألُ سـوجـير: "أكـيـد. كـيف تريدني أن أعـمل؟ تريدني أن أعـامـلـك بخـشـونة مـثل وُلكوت؟ تريدني أن أطرحك أرضـاً بضع مرات؟"

يقول جاك: "ذلك هو". لم يحب هذا إطلاقاً مع ذلك.

ذات صبـاح خرجنا كلنا إلى الطريق. ابتعدنا كثيراً والآن عدنا. ركـضنا مسرعين لثـلاث دقـائق ثم سرنا الهوينى لدقيقة واحدة، ومن ثم أسرعنا ثلاث دقـائق مـرة أخرى. لم يكن جاك في يوم من الأيام مـا سـتدعوه عدّاءً. كان يتحرك بسرعة كافية في الحلبة إذا كان لابد أن يفـعل ذلك، لكنه لم يكن سريعـاً جـداً في الطريق. طيلة الوقت الذي مـشـينا فـيـه ظلّ سـوجير يمـزح معه. صعدنا التل إلى منزل المزرعة.

يقـول جاك: "حسناً. يحسن أن تعود إلى البلدة يا سوجير".

ـ"ماذا تعني؟"

ـ"يحسن أن تعود إلى البلدة وتبقي هناك".

ـ"ما الأمر؟"

ـ"قرفتُ من سماعك تتكلم".

يقـول سوجير: "نعم؟"

يقول جاك: "نعم".

ـ"سـتكون منظراً مقرفاً لعيناً حين ينتهي منك وُلكوت".

يـقـول جـاك: "أكـيـد. ربما سأكـون. لكنني أعـرف أنني قَرِف منك".

هكذا غـادر سـوجير بالقطار إلى البلدة في ذلك الصـباح نفسه.

ذهبتُ معه إلى القطار. كان جيداً ومثار الأعصاب.

قال: "كنتُ فقط أمزح معه". كنا ننتظر على الرصيف. "لا يمكنه أن يشدّ معي إلى هذا الحد يا جيري".

قلتُ: "إنه عصبيّ ومتكدّر. إنه شخص جيد يا سوجلير".

ـ"جحيم هو. جحيم هو إذا كان شخصاً جيداً في أي وقت من الأوقات".

قلتُ: "حسناً. إلى اللقاء يا سوجلير".

كان القطار قد وصل. صعدَ إليه مع حقيبته.

يقول: "إلى اللقاء يا جيري. ستكون في البلدة قبل الملاكمة؟"

ـ"لا أعتقد هذا".

ـ"أراك إذن".

دخل العربةَ ورفع عامل المحطة الإشارة وخرج القطار. عدّتُ إلى المزورعة بالعربة. كان جاك في شرفة المدخل يكتب رسالة إلى زوجته. كان البريد قد وصل فأخذتُ الصحف وذهبتُ إلى الجانب الآخر من الشرفة وجلستُ أقرأ. خرج هوجَن من الباب. واقترب مني.

ـ"هل أثار شجاراً مع سوجلير؟"

قلتُ: "ليس شجاراً. طلب منه فقط العودة إلى البلدة".

قال هوجَن: "كنتُ أتوقع حدوث هذا. لم يحب سوجلير كثيراً أبداً".

ـ"لا. إنه لا يحب كثيراً من الناس".

قال هوجَن: "إنه شخص بارد جداً".

ـ"حسناً، كان دائماً لطيفاً معي".

قـال هوجَن: "ومـعي أيضاً. ليس لدي شيء ضده. إنه شخص بارد مع ذلك".

دخـل هوجَن عبر باب السـتـارة وجلستُ هناك في شرفـة المدخل أقـرأ الجرائد. بدأ الجو للتو يصبح طقساً خريفياً وكان الريف جميلاً هناك في جيرسي، عـاليـاً على التـلال، وبعد أن قرأتُ الجريدة حتى الـنـهـايـة جـلستُ هناك ونظرتُ بعـيـداً إلى الريف وإلى الطريق في الأسـفل أمـام الغابة والسيارات تسير عليه، مثيرةً الغبار. كان طقساً جمـيـلاً وريفـاً رائع الجمال. اقترب هوجَن من البـاب وقلتُ: "قُل يا هوجَن، أليس لديكم شيء للصيد هنا؟"

قـال هوجَن: "لا. عصافير دوري فقط".

سألتُ هوجَن: "رأيتَ الجـريدة؟"

-"ماذا فيها؟"

-"هزم ساندي ثلاثة منهم هزيمةً نكراء أمس".

-"وصلني ذلك بالهاتف ليلة أمس".

سألتُ: "أنت تتـابع أخبارهم عن قُرب يا هوجَن؟"

قـال هوجَن: "أوه. أنا أحافظ على الاتصال بهم".

أقول: "ماذا بشأن جاك؟ ألا يزال يلعب؟"

قال هوجَن: "هو؟ هل تراه يفعل هذا؟"

عـنـد ذاك تماماً اقترب جـاك من الركن والرسـالة في يده. كـان يلبس سترة وسرولاً قـديماً وينتعل حذاء ملاكمة.

يسأل: "معكَ طابع يا هوجَن؟"

قال هوجَن: "هاتِ الرسالة. سأرسلها لك بالبريد".

قلت: "قُل يا جاك، ألم تراهن على السباق؟"

ـ"أكيد".

ـ"عـرفتُ أنك تراهن. عرفتُ، رأيتُك في ميدان سباق الخيل في تشيبس هيد".

سأل هوجَن: "لماذا توقفتَ عن الرهان؟"

ـ"خسرت".

جلس جـاك في شرفـة المدخل إلى جـانبي. مـال إلى الخلف على عمود. أغمض عينيه في الشمس.

سأل هوجَن: "تريد كرسياً؟"

قال جاك: "لا. هذا حسن".

قلتُ: "إنه نهار جميل. إنه لحسن تماماً الخروج في الريف".

ـ"أفـضـل أن أرى مـنـظـراً لـعـيـنـاً على أن أكـون في البلدة مع زوجتي".

ـ"حسناً. أمامك أسبوع واحد فقط".

يقول جاك: "نعم. هو كذلك".

جـلـسـنا هناك في الشرفـة. كـان هوجَن في الداخل جـالسـاً إلى المكتب.

سألني جاك: "ما رأيك بالهيئة التي أنا عليها؟"

قلت: "حـسن، أنتَ لا تعـرف. أمـامك أسبوع لتهيىء نفسك وتصبح في الشكل المناسب".

ـ"لا تخدعني".

قلت: "حسناً، أنتَ لستَ في حال طبيعية".

قال جاك: "أنا لا أنام".

ـ"ستصبح على ما يرام خلال بضعة أيام".

قال جاك: "لا. أنا أعاني من الأرق".

-"ما الذي في ذهنك؟"

-"أفتقد زوجتي".

-"أحضرها إلى هنا"

-"لا. لقد شخختُ على ذلك".

-"ستمشي لمسافة طويلة قبل أن تعود فتتحسن وتتعب".

يقول جاك: "تَعِب؟ أنا تعب طيلة الوقت".

ظلّ على ذلك النحو طيلة الأسبوع. لم يكن ينام في الليل وكان ينهض في الصباح وهو يحسّ على ذلك النحو، أنتَ تعرف، حين لا تستطيع غَلْق يديك.

قال هوجَن: "إنه يابس ككعكة الفقراء. إنه لا شيء".

قلتُ: "لم أرَ وُلكوت أبداً".

قال هوجَن: "سيقتله. سيمزقه إلى نصفين".

قلتُ: "حسناً. كل إنسان لابد أن يواجه هذا في وقت ما".

قال هوجَن: "ليس على هذا النحو، مع هذا. سيظنون أنه لم يتدرّب أبداً. سيلطّخ سمعة المزرعة بنقطة سوداء".

-"تسمع ما قاله المراسلون عنه؟"

-"ألم أسمع؟ قالوا إنه كان شنيعاً. قالوا إنه يجب ألا يسمحوا له بأن يلاكم".

قلت: "حسناً. إنهم دائماً مخطئون، أليس كذلك؟"

قال هوجَن: "نعم. لكنهم هذه المرة مصيبون".

-"أي جحيم يعرفونه عما إذا كان إنسانٌ على صواب أو لا".

قال هوجَن: "حسناً، إنهم ليسوا بلهاء إلى هذه الدرجة".

ـ"كل ما فعلوه هو أنهم اختاروا ويلارد في توليدو. لاردنِر هذا، إنه حكيم جداً الآن، اسأله متى اختار وِلارد في توليدو".

قال هوجَن: "أو، إنه لم يخرج. إنه فقط يكتب عن مباريات الملاكمة الكبيرة".

قلت: "أنا لا يهمني مَنْ يكونون. أي جحيم يعرفونه؟ يستطيعون الكتابة ربما، لكن أي جحيم يعرفونه؟"

سأل هوجَن: "أنتَ لا تعتقد أن جاك في وضع حسن، أليس كذلك؟"

ـ"لا. إنه منتهٍ. كل ما يحتاجه هو أن يختاره كوربيت ليفوز في المباراة وينتهي كل شيء".

يقول هوجَن: "حسناً. سيختاره كوربيت".

ـ"أكيد. سيختاره".

في تلك الليلة، لم ينم جاك أيضاً. كان الصباح التالي آخر يوم قبل الملاكمة. بعد الفطور خرجنا إلى شرفة المدخل ثانية.

قلتُ: "ما الذي تفكر فيه يا جاك، حين لا تستطيع أن تنام؟"

يقول جاك: "أوه، أقلق. أقلق على أملاك لدي في برونكس، أقلق على أملاك لدي في فلوريدا. أقلق على الأطفال. أقلق على زوجتي. أحياناً أفكر بالملاكمات. أفكر في ذلك الـ كايك رِتشي لويس فأحسّ بالغيظ. لدي بعض السندات وأنا أقلق عليها. أي جحيم لا أفكر فيه؟"

قلت: "حسناً. في ليلة الغد سينتهي كل شيء".

قال جاك: "أكيد. ذلك دائماً يساعد كثيراً، أليس كذلك؟ ذلك يسوّي تماماً كل شيء نهائياً. على ما أفترض. أكيد".

كـان نكِداً طيلة اليـوم. لم نقم بأيِ عـمل. تنقّل جـاك قليـلاً في الأنـحـاء لـيـخـفف من توتره. لاكمَ مـلاكـمـة ظليّة في الهواء عـدة جـولات. حـتى أنه لم يبـدُ مـاهراً وهو يفـعل ذلك. فقز على الحبل مدة قصيرة. لم يعرق.

قـال هوجَن: "يحسن ألاّ يفـعل شيئاً على الإطلاق". كنا واقفين نراقبه وهو يقفز على الحبل. "ألم يعد يعرق أبداً؟"

ـ"لأنه لا يستطيع أن يعرق".

ـ"هل تظن أنه مـصاب بالسل؟ لم يواجه صعوبة في زيادة وزنه، أليس كذلك؟"

ـ"لا، إنه ليس مـصـابـاً بأي سُلّ. كل ما هنالك أنه لم يعد لديه أي شيء داخله".

قال هوجَن: "يجب أن يعرق".

تـقـدم جـاك، وهو يقـفـز على الحـبل. كـان يثب إلى أعلى وإلى أسـفل أمامنا، إلى الأمام وإلى الخلف، مصالباً ذراعيه مع كل ثالث قفزة.

قال: "حسناً. ما الذي تتكلمان عنه أيها العُقابان؟"

قـال هوجَن: "لا أظن أنك يجب أن تفـعل شـيئاً الآن. ستنهك قواك".

قـال جـاك وهو يثب بعـيـداً هابطاً على الأرضـية، مفرقعاً الحبل بقـوة: "ألن يكون ذلك رهيباً؟"

بعـد ظهـر ذلك اليـوم وصل إلى المزرعـة جون كولينز. كان جاك في الطابق العلوي في غـرفـتـه. وصل بسـيـارة من البلدة. كان معه صـديقان. توقفت السيارة وخرجوا كلهم.

سألني جون: "أين جاك؟"

ـ"فوق في غرفته، مستلقياً".

ـ"مستلقياً؟"

قلتُ: "نعم".

ـ"كيف هو؟"

نظرتُ إلى الشخصَينْ الاثنَينْ اللذين كانا مع جون.

قال جون: "إنهما من أصدقائه".

قلت: "إنه في حال سيئة جداً".

ـ"ما به؟"

ـ"إنه لا ينام".

قال جون: "جحيم. لم يستطيع ذلك الإيرلندي أن ينام أبداً".

قلت: "إنه ليس على ما يرام".

قال جون: "جحيم. إنه لم يكن على ما يرام أبداً. عمل معي عشر سنوات ولم يكن أبداً على ما يرام".

ضحك الشخصان اللذان كانا معه.

قال جون: "صافح السيد مورجان والسيد شتاين فِلت. هذا هو السيد دويل. إنه يدرب جاك".

قلت: "مسرور للقائكما".

قال الفتى المدعو مورجان: "لنصعد ونرى الفتى".

قال شتاين فِلت: "لنلقِ نظرة عليه".

صعدنا كلنا إلى الطابق العلوي.

سأل جون: "أين هوجَن؟"

قلت: "إنه في الخارج في الحظيرة مع اثنين من زبائنه".

سأل جون: "عنده كثير من الناس في الخارج هنا الآن؟"
ـ "اثنان فقط".
قال مورجان: "إنها هادئة تماماً، أليس كذلك؟"
قلت: "نعم. إنها هادئة تماماً".
كنا خارج غرفة جاك. قرع جون الباب. لم يصدر أي جواب.
قلت: "ربما يكون نائماً".
ـ "لأي جحيم ينام في النهار؟"

أدار جون مقبض الباب ودخلنا كلنا. كان مستلقياً على السرير ونائماً. كان وجهه إلى أسفل على الوسادة. كانت كلتا ذراعيه حول الوسادة.

قال جون له: "هاي جاك".

تحرك رأس جاك قليلاً على الوسادة. يقول جون، منحنياً فوقه: "جاك". غاص جاك متعمقاً قليلاً في الوسادة. لمس جون كتفه. جلس جاك معتدلاً ونظر إلينا. لم يكن قد حلق ذقنه وكان يلبس معرقاً قديماً.

يقول لجون: "يا للمسيح! لماذا لا تدعني أنام؟"
يقول جون: "لا تغضب. لم أقصد إيقاظك".
يقول جاك: "أوه. لا. طبعاً لا".
قال جون: "أنتَ تعرف مورجان وشتاين فِلت".
يقول جاك: "تسرني رؤيتكما".
يسأله مورجان: "كيف حالك يا جاك؟"
يقول جاك: "حسن. أي جحيم ستكون حالي؟"
يقول شتاين فِلت: "أنتَ تبدو جيداً".

يقـول جـاك: "نعم، ألستُ كـذلك؟" يقـول لجون: "قُل. أنتَ مـديري. تحصل على مبلغ كبير كافٍ تقتطعه. بسبب أي جحيم لا تـكـون هـنـا حـين خـرج المـراسـلـون! أنتَ تريد من جيري ومني التحدث إليهم؟"

قال جون: "لديّ ليو يلاكم في فيلادلفيا".

يقـول جـاك: "أي جـحيم ذلك بالنسبة إليّ؟ أنتَ مديري. أنتَ تحـصل على مبلغ كبير كافٍ تقتطعه، أليس كذلك؟ أنتَ لا تكسب مالاً لي في فـيلادلفيا، أليس كذلك؟ بسبب أي جحيم لا تكون هنا حين أحتاجِ إليك؟"

ـ"هوجن كان هنا".

يقـول جاك: "هوجَن، هوجَن غبيّ مثلي أنا".

قـال شـتـاين فِلت: "كـان سوجير بارتليت هنا يعمل معك مدة من الزمن، أليس كـذلك؟" ليغيرّ الموضوع.

يقول جاك: "نعم. كان هنا. كان هنا على خير وجه".

قـال جـون لي: "قُل يـا جيري. هلاّ ذهبتَ وبحـثتَ عن هوجَن وأخبرته بأننا نريد أن نراه خـلال نصف ساعة؟"

قلتُ: "أكيد".

يـقـول جـاك: "بـسـبـب أي جـحـيم لا يـبـقى هنا؟ إبقَ هنا يا جيري".

نظر مـورجان وشتاين فِلت أحدهما إلى الآخر.

قال جون له: "إهدأ يا جاك".

قلتُ: "يحسن أن أذهب وأبحث عن هوجَن".

يقـول جـاك: "حـسناً، إذا أردتَ أن تذهـب. لا أحـد من هؤلاء

الفتيان سيبعدك مع ذلك".

قلت: "سأذهب لأبحث عن هوجَن".

كـان هوجَن في قـاعـة الجـمـبـاز في الحظيرة. كان معه اثنان من مـرضى مـزرعـة الصحة بقفازات. لا أحد منهما أراد ضرب الآخر، خوفاً من أن يردّ الآخر فيضربه.

قـال هـوجَن حـين رآني أدخـل: "ذلك كل شيء. يمكنكما وقف المذبحـة. خذا أيها السيدان دوشاً وسيقوم بروس بتدليكما".

خرجا من بين الحبال وتقدم هوجَن نحوي.

قلتُ: "أتى جون كولنز مع صديقَينْ له ليرى جاك".

-"رأيتـهم يصلون بالسيارة".

-"من هما الشخصان اللذان مع جون؟"

قال هوجَن. "إنهما ما تدعوهما بالفتيان الفطنين. ألا تعرفهما؟"

قلت: "لا".

-"ذلكما هابي شـتـاين فِلت وليـو مورجان. لديهما مكتب مراهنة على الخيل".

قلت: "ظللتُ بعيداً لوقت طويل".

قـال هوجَن: "أكيد. هابي شتاين فِلت ذلك داهية كبير".

قلت: "سمعتُ اسمه".

قـال هـوجَن: "إنـه فـتـى لـطـيف جـداً. إنهما اثنان من الرمـاة المهرة".

قلت: "حسناً. يريدون أن يرونا خلال نصف ساعة".

-"تعني أنهما لا يريدون أن يرونا إلاّ بعد نصف ساعة؟"

-"ذلك هو".

قـال هوجَن: "تعـالَ إلى المكتب. إلى الجـحـيم بتـينك الرامـيين الماهرين".

بعـد حـوالي ثلاثين دقـيـقـة أو أكـثـر أرتقينا أنا وهوجَن الدرج. طرقنا باب غرفة جاك. كانوا يتحدثون داخل الغرفة.

قال أحدهم: "انتظر دقيقة".

قـال هوجَن: "إلى الجحيم بذلك الكلام. حين تريدون أن تروني فأنا في الأسفل في مكتبي".

سمعنا الباب ينفتح. فتحه شتاين فِلت.

يقـول: "أدخل يا هوجَن. سنتناول كلنا شراباً".

يقول هوجَن: "حسناً. ذلك شيء".

دخلنا. كـان جـاك جـالسـاً على السرير. كـان جـون ومـورجان جالسين على كرسيين. وكان شتاين فِلت واقفاً.

قال هوجَن: "أنتم مجموعة من فتيان غامضين جداً".

يقول جون: "مرحباً يا داني".

يقول مورجان: "مرحباً يا داني" ويصافحه.

لا يقول جاك شيئاً. يجلس فقط هناك على السرير. إنه ليس مع الآخـرين. كـان كله مع نفـسـه. كـان يلبس كنزة وسروالاً زرقاوين قـديمين وينتـعل حـذاء ملاكمة. كان بحاجة إلى حلاقة ذقنه. كان شـتاين فِلت ومورجان متأنقَيْن. كان جون متأنقاً تماماً أيضاً. جلس جاك هناك وهو يبدو إيرلندياً وخشناً.

أخـرج شـتـاين فِلت قنينة وأحضر هوجَن كـؤوسـاً وتناول الكل شرابـاً. شربـتُ أنـا وجـاك كأسـاً واحـدة وتابع البـقـيـة وَشرِبَ كل واحد منهم كأسين أو ثلاثاً.

قـالَ هوجَن: "يحسن أن توفر بعضه لعودتك".

قـال مورجان: "لا تقلق. لدينا الكثير".

لم يـشربْ جـاك شـيئاً مـنـذ الـكـأس الأولى. كـان يقف وينظر إليهم. كان مورجان يجلس على السرير حيث جلس جاك.

قـال جـون: "إشرب يا جاك" وناوله الكأس والقنينة.

قـال جـاك: "لا. لم أحبّ قط الذهاب إلى هذه السـهـرات على الموتى".

ضحكوا كلهم. لم يضحك جاك.

كـانوا كلهم في حـال جـيـدة حين غـادروا. وقف جـاك في شرفة المدخل حين ركـبـوا السيارة. لوّحوا بأيديهم له.

قال جاك: "إلى اللقاء".

تناولنا العـشـاء. لم يقل جـاك شـيئاً أثناء الوجـبـة سـوى: "هلاّ أعطيـتني هذا"؟ أو "هلاّ أعطيـتني ذاك"؟ تناول مـريضـا مـزرعـة الصحة العشاء معنا على نفس الطاولة. كانا شخصين لطيفين جداً. بعد أن أكملنا الأكل خرجنا إلى شرفة المدخل. حلّ الظلام مبكراً.

سألَ جاك: "تحب أن تتمشي يا جيري".

قلت: "أكيد".

ارتدينا مـعطفـينا وانطلقنا خـارجين. كـان طريقاً هادئاً بعيداً عن الطريق الرئيسي ثم مـشينا على الطريق الرئيسي حوالي ميلٍ ونصف. ظلّت السيارات تمرّ بنا فكنا ننسحب إلى جانب الطريق حتى تمر. لم يـقـل جـاك شـيئاً. بـعـد أن خطونا إلى داخل الشـجيرات لنسـمح لسـيـارة كبيرة بالمرور قال جاك: "إلى الجحيم بهذا المشي. لنرجع إلى مـزرعة هوجَن".

سرنا في طريق جانبيّ يجري من على التل وعبر الحقول عائداً إلى مزرعة هوجَن. أمكننا أن نرى أنوار المنزل في الأعلى على التل. درنا حتى وصلنا إلى مقدمة المنزل وهناك كان هوجَن يقف في فتحة الباب.

سأل هوجَن: "مشيتما مشواراً جيداً؟"

قال جاك: "أوه، حسن. إسمع يا هوجَن. هل لديك أي شراب؟"

يقول هوجَن: "أكيد. ما الفكرة؟"

يقول جاك: "أرسله إلى الأعلى إلى الغرفة. سأنام الليلة".

يقول هوجَن: "أنتَ الطبيب".

يقول جاك: "إصعد إلى الغرفة يا جيري".

في الطابق العلوي، جلس جاك على السرير ورأسه بين يديه.

يقول جاك: "أليست هذه حياة؟"

أحضر هوجَن ربعية ليكير وكأسَينْ.

ـ "تريد بعض جعة زنجبيل؟"

ـ "ما الذي تظن أنني أنوي فعله، أن أصاب بالغثيان؟"

قال هوجَن: "سألتُكَ فقط".

قال جاك: "تشرب؟"

قال هوجَن: "لا، شكراً". خرج.

ـ "ماذا عنه يا جيري؟"

قلت: "سأشرب كأساً واحدة معك".

صبّ جاك كأسين من الشراب. قال: "الآن. أريد تناوله ببطء وببساطة".

قلت: "ضع قليلاً من الماء فيه".

قال جاك: "نعم. أعتقد بأن هذا أفضل".

شربنا كأسَينْ دون أن نقول شيئاً. بدأ جاك يصب لي كأساً أخرى.

قلت: "لا، ذلك كل ما أريده".

قال جاك: "حسناً". صبّ لنفسه جرعة كبيرة أخرى ووضع فيها ماء. بدأ ينتشي قليلاً.

قال: "كانوا ثلة لطيفة: أولئك الذين حضروا بعد ظهر اليوم. لم تتح لهما أية فرصة، ذلكما الشخصان".

ثم بعد فترة قصيرة، يقول: "حسناً، إنهما جيدان. أي جحيم هي الفائدة من انتهاز فرص؟"

قال: "ألا تريد كأساً أخرى يا جيري. هيا شاركني".

قلت: "لا أحتاج إليه يا جاك. أحسّ أنني في حال حسنة".

قال جاك: "خذ كأساً أخرى فقط".

كان الشراب يخفف عنه.

قلتُ: "حسناً".

صبّ جاك كأساً لي وجرعة كبيرة أخرى له.

قال: "أنتَ تعرف، أنا أحبّ الشراب كثيراً. لولا أنني ألاكم لشربتُ الكثير".

قلت: "أكيد".

قال: "أنتَ تعرف، خسرتُ الكثير، من الملاكمة".

ـ"جمعتَ الكثير من المال".

ـ"أكيد، ذلك ما أنا وراءه. أنتَ تعرف أنني أفتقد الكثير يا

جيري " .

ـ" ماذا تعني؟ "

يقول: " حسناً، مثل ما يتعلق بزوجتي. وبُعدي عن البيت كثيراً. لايقدّم لبناتي أي شي جيد. بعض فتيان المجتمع أولئك يقولون لهن: ' من هو أبوكن؟ ' . ' أبي جاك برينان ' . ذلك لا يقدّم إليهن أي شيء جيد " .

قلت: " جحيم. كل ما يشكّل فرقاً هو إذا كنّ يملكن خميرة " .

يقول جاك: " حسناً. لدي الخميرة لأجلهن تماماً " .

صبّ كأساً أخرى. كانت القنينة على وشك أن تفرغ.

قلت: " صبّ بعض الماء فيها " . صبّ جاك بعض الماء فيها.

يقول : " أنتَ تعرف، ليس لديك أدنى فكرة عن مدى ما أفتقد زوجتي " .

ـ" أكيد " .

ـ" ليست لديكَ أدنى فكرة. لا يمكن أن تكون لديك فكرة عما تكونه هذه الحال " .

ـ" لابد أن من الأفضل أن تكون في الريف من أن تكون في المدينة " .

قال جاك: " معي الآن، لا يشكل أي فرق أين أكون. لا يمكن أن تكون لديك فكرة كيف هي الحياة " .

ـ" إشرب كأساً أخرى " .

ـ" هل سكرتُ؟ هل أتكلم كلاماً سخيفاً؟ "

ـ" أنتَ تتقدم على خير وجه " .

ـ" لا يمكن أن تكون لديك فكرة عن كيف هي الحال. ليس

من أحد يمكن أن تكون لديه فكرة عن هذه الحال" .

قلت: "ما عدا الزوجة" .

قال جاك: "إنها تعرف. هي تعرف تماماً. هي تعرف. أنت متأكد من أنها تعرف؟"

قلت: "ضع بعض الماء في تلك الكأس" .

يقول جاك: "جيري. لا يمكن أن تكون لديك فكرة عن كيف ستصبح هذه الحال" .

كان في حال جيدة وسكراناً. كان ينظر إليّ بثبات. كانت عيناه ثابتَتَيْنْ جداً.

قلتُ: "ستنام على خير وجه" .

يقول جاك: "إسمع يا جيري. تريد أن تكسب بعض المال؟ راهن ببعض المال على وُلكوت" .

ـ"نعم؟"

ـ"إسمع يا جيري" . وضع جاك الكأس. "أنا لستُ سكراناً الآن، ترَ؟ أنتَ تعرف كم راهنتُ عليه؟ خمسون قطعة من فئة الألف" .

ـ"ذلك مبلغ كبير" .

يقول جاك: "خمسون قطعة من فئة الألف. على أساس اثنين إلى واحد. سأحصل على خمسة وعشرين ألف دولار. راهن ببعض المال عليه يا جيري" .

قلت: "يبدو هذا معقولاً" .

يقول جاك: "كيف يمكنني أن أهزمه؟ إنها ليست خدعة. كيف يمكنني أن أهزمه؟ لماذا لا أكسب مالاً من الرهان عليه؟"

قلت: "ضع بعض الماء في تلك" .

يقول جاك: "سأنتهي بعد هذه الملاكمة. لقد انتهيتُ منها. لابد أن تلحق بي هزيمة. لماذا لا أكسب من هذا؟ "

ـ "أكيد" .

يقول جاك: "لم أنم منذ أسبوع. طوال الليل أستلقي مستيقظاً وأقلق نفسي حتى النهاية. أنا لا أستطيع أن أنام يا جيري. ليستْ لديك فكرة عما تكون عليه الحال حين لا تستطيع أن تنام" .

ـ "أكيد" .

ـ "لا أستطيع أن أنام. ذلك كل شيء. أنا لا أستطيع أن أنام. ما فائدة العناية بنفسك طيلة هذه السنين حين لا تستطيع أن تنام؟ "

ـ "إن هذا سيىء" .

ـ "ليست لديك فكرة عما تكون الحال يا جيري حين لا تستطيع أن تنام" .

ـ "ضع بعض الماء في تلك الكأس" .

حسناً، في حوالي الساعة الحادية عشرة تعتع السكرُ جاك فمدَّدتُه على السرير. أخيراً أصبح على حالٍ لا يمكنه فيها أن يمتنع عن النوم. ساعدته على خلع ملابسه ومددتُه على السرير.

قلت: "ستنام جيداً يا جاك" .

يقول جاك : "أكيد. سأنام الآن" .

قلت: "تصبح على خير يا جاك" .

يقول جاك: "تصبح على خير يا جيري. أنتَ الصديق الوحيد لديّ" .

قلت: "أوه، جحيم" .

يقـول جـاك: "أنتَ الصـديق الوحـيـد لديّ. الصـديق الوحـيد لديّ".

قلت: "نم".

يقول جاك: "سأنام".

في الـطـابـق الـسـفـلي، كـان هوجَن يجلس إلى طاولة المكتب في مـكـتـبـه ويقـرأ الجـرائد. رفع نظره إليّ. يسألني: "حـسناً، أنَمتَ صديقك؟"

ـ"غرق في النوم".

ـ"أكيد".

قـال هوجَن: "سنحـتـاج إلى جـحيم وقت لتوضيح ذلك لكتّاب الرياضة أولئك".

قلت: "حسناً، سآوي إلى السرير أنا نفسي".

قـال هوجَن: "تصبح على خير".

في الصـبـاح، نزلتُ إلى الطابق الأرضي في حـوالي السـاعة الثامنة وتـنـاولتُ بعض طعـام الفطور. كـان هوجَن قـد أخـرج زبونيـه إلى الحظيرة للقـيام بتمرينات رياضية. خرجتُ وراقبتهما.

كـان هـوجَن يعـد لهما. "واحـد! اثنان! ثلاثة! أربعـة!" قـال: "هِلو جيري. ألم يستيقظ جاك بعد؟"

ـ"لا. إنه لا يزال نائماً".

عـدتُ إلى غـرفـتي وحزمت أمتعتي للتوجه إلى البلدة. في حوالي السـاعـة التاسعة والنصف سمعتُ جاك ينهض في الغرفة المجاورة. حين سمعتُه ينزل إلى الطابق السفلي لحقتُ به. كان جاك يجلس إلى طاولة الإفطار. كـان هوجَن قـد دخل ووقف إلى جانب الطاولة.

سألتُه: "كيف حالك الآن يا جاك؟"
ـ"ليس سيئاً جداً".
سأل هوجَن: "نمتَ جيداً؟"
قال جاك: "نمتُ تماماً. ثقل لساني لكن ليس لديّ صداع".
قال هوجَن: "حسناً. كان ذلك الشراب جيداً".
يقول جاك: "سجِّلْه في فاتورة الحساب".
سأل هوجَن: "في أي وقت تريد أن تذهب إلى البلدة؟"
قال جاك: "قبل الغذاء. قطار الساعة الحادية عشرة".
قال جاك: "إجلس يا جيري". خرج هوجَن.

جلستُ إلى الطاولة. كان جاك يأكل ليمونة هندية/ جريب فروت. حين كان يجد بذرة كان يبصقها في الملعقة ويرميها في الطبق.

بدأ: "أظن أنني كنت سكراناً جداً ليلة أمس".
ـ"شربتَ بعض الشراب".
ـ"أظن أنني قلتُ كثيراً من الأشياء الحمقاء".
ـ"لم تكن سيئاً".
سأل: "أين هوجَن؟"
انتهى من الليمونة الهندية.
ـ"هناك في المقدمة في المكتب".

سأل جاك: "ماذا قلتُ عن المراهنة على الملاكمة". كان يمسك بالملعقة ويحرّكها كأنه يطعن الليمونة الهندية بها.

دخلت الفتاة ببعض لحم فخذ خنزير وبيض ثم أخرجتْ معها الليمون الهندي.

قال جاك لها: "أحضري لي كأس حليب أخرى". خرجتْ.
قلت: "قلتَ إنك راهنت بخمسين ألف دولار على وُلكوت".
قال جاك: "ذلك صحيح".
ـ"ذلك مبلغ كبير".
قال جاك: "لستُ مرتاحاً كثيراً لهذا".
ـ"قد يحدث شيء".
قال جاك: "لا. إنه يريد اللقب بأشد رغبة لديه. سيرفع هذا من قيمة الرهان عليه حقاً".
ـ"لا يمكن أن تعرف".
ـ"لا. إنه يريد اللقب. إنه يساوي مالاً كثيراً بالنسبة إليه".
قلت: "إن خمسين ألف دولار مبلغ كبير من المال".
قال جاك: "إنه عمل تجاري. لن أستطيع أن أفوز. أنتَ تعرف أنني لن أفوز بأي حال من الأحوال".
ـ"طالما أنتَ داخل الحلبة هناك، لديك فرصة".
يقول جاك: "لا. لقد انتهيتُ تماماً. إنه مجرد عمل تجاري".
ـ"كيف حالك؟"
قال جاك: "حسن جداً. كان النوم هو ما كنتُ أحتاج إليه".
ـ"قد تلاكم على نحو جيد".
قال جاك: "سأقدّم لهم عرضاً جيداً".
بعد الإفطار اتصل جاك بزوجته عن طريق خط الاتصالات البعيد. كان داخل الكشك يهاتف.
قال هوجَن: "تلك أول مرة يتصل بها منذ أن وصل إلى هنا".
ـ"إنه يكتب إليها كل يوم".

ـ"أكيد. الرسالة تكلّف ستَيْنْ فقط".

ودعنا هوجَن، ونقلنا برُوس، المدلّك الزنجي، إلى القطار بالعربة.

قال برُوس عند القطار: "مع السلامة يا سيد بريتان. آمل أن تجندل كيانه".

قال جاك: "إلى اللقاء".

أعطى برُوس دولارَيْن. كان برُوس قد خدمه كثيراً. بدا خائب الأمل إلى حد ما. رآني جاك أنظر إلى برُوس وهو يمسك بالدولارَيْن.

قال: "كلها في الفاتورة. لقد تقاضى هوجَن مني أجرة التدليك".

في القطار، متجهَيْنْ إلى البلدة، لم يتكلم جاك. جلس في ركن المقعد وتذكرته في شريط قبعته ونظر من النافذة. التفتَ مرة وتكلم إليّ.

قال: "أخبرتُ زوجتي بأنني سأستأجر غرفة في فندق شيلبي الليلة. إنه حول الركن تماماً من الحديقة. سأتمكن من الذهاب إلى المنزل غداً صباحاً".

قلت: "تلك فكرة جيدة. رأتك زوجتك تلاكم يا جاك؟"

يقول جاك: "لا. لم ترني أبداً ألاكم".

فكرتُ أنه لا بد أنه يتصور بأنه سيتلقى ضرباً شنيعاً إذا كان هو لا يريد الرجوع إلى البيت بعد ذلك. في البلدة أخذنا سيارة أجرة حتى شيلبي. خرج صبيّ وأخذ حقائبنا واتجهنا إلى المكتب.

سأل جاك: "كم أجرة الغرفة؟"

قـال الكاتب: "لدينا غـرف مـزدوجة فقط. يمكنني تقديم غرفة مـزدوجـة جيدة بعشرة دولارات فقط".
ـ "تلك غالية جداً".
ـ "يمكنني تقـديم غـرفة مزدوجة لكما بسبعة دولارات".
ـ "مع حمّام؟"
ـ "أكيد".
يقول جاك: "يمكنك أيضاً أن تنام معي يا جيري".
قلت: "أوه، سأنام في المدينة عند صهري".
يقـول جـاك: "لم أقصد أن تدفع أنت. أردتُ فقط الحصول على ما يعادل نقودي".
يقول الكاتب: "أتسمحا بتسجيل اسميكما؟" نظر إلى الاسمين. "رقم ٢٣٨ يا سيد بريننان".
صـعـدنا بالمصعد. كانت غرفة جيدة كبيرة بسريرين وباب يفتح على حمام.
يقول جاك: "هذه جيدة جداً".
رفع الصـبي الذي قـادنا إلى الغـرفـة الستائر وأدخل حقائبنا. لم يحرك جـاك سـاكناً، فأعطيتُ الصبي رُبع دولار مني. غسلنا أيدينا وقال جاك بأنه يحسن بنا أن نخرج ونأكل شيئاً.
تناولنا الغـداء في محل هاندلي. عدد كبير من الفتيان كانوا هناك. حـين كـنـا في منتـصف أكلنا، دخل جـون وجلس مـعنا. لم يتكلم جاك كثيراً.
سأله جـون: "كـيف حال وزنك؟" كان جاك يلتهم غداء جيداً جداً.

قـال جـاك: "يمكنني أن أفعل هذا وملابسي عليّ" . لم يكن قلقاً حـيـال أخـذ وزنه. كـان مـلاكماً عـادياً من الذين يتراوح وزنهم بين ١٣٥ ـ ١٤٧ رطلاً ولم يسـمن أبداً. لقـد فـقـد من وزنه في مـزرعـة هوجَن.

قال جو: "حسناً، ذلك أمر واحد لا يثير قلقك أبداً" .

يقول جاك: "ذلك أمر واحد" .

ذهبنا إلى الحـديقة ليزن نفسه بعد الغذاء. كان قد تقرر أن تجري الملاكمة بوزن ١٤٧ رطلاً في السـاعـة الثالثة. خطا جاك على القبّان وفـوطتـه حـوله، لم يتـحـرك القـضـيب. كـان وُلكوت قد وزن قبل لحظات فـوقف وكثير من الناس يحيطون به.

قـال فريدمان مدير وُلكوت: "لنرَ كم تزن يا جاك" .

هزّ جـاك رأسـه في اتجاه وُلكوت: "حسناً. زنه هو" .

قال فريدمان: "أسقِط المنشفة" .

سأل جـاك الأشخاص الذين قاموا بالوزن: "كم حسبتموه؟"

قـال الـرجـل الـسـمين الذي كـان يزن: "مـائة وثلاثة وأربعـون رطلاً" .

يقول فريدمان: "نقصتَ جيداً" .

يقـول جاك: "زنه هو" .

تقـدّم وُلكوت. كـان أشـقـر بكتـفَينْ عـريضَينْ وذراعَينْ كذارعيّ مـلاكم من الوزن الثـقـيل. ليس لديه سـاقـان كبيرتان. وقف جاك أطول منه بحـوالي نصف رأس.

قـال وُلكوت: "مرحباً يا جاك" . كان وجهه كثير العلامات.

قال جاك: "مرحباً. كيف حالك؟"

يقول وُلكوت: "حسن". أسقط المنشفة من حول خصره ووقف على القبّان. كان له أعرض كتفين وظهر رأيتَه في حياتك.

ـ"مائة وستة وأربعون رطلاً واثنتا عشرة آونسة".

خطا وُلكوت نازلاً عن القبّان وكشّر لجاك.

يقول جون: "حسناً، ينقص وزن جاك عنك بحوالي أربعة أرطال".

يقول وُلكوت: "أكثر من ذلك حين أدخل الحلبة يا فتى. سأذهب لآكل الآن".

عُدنا، ولبسَ جاك. يقول جاك لي: "يبدو ولداً خشناً تماماً".

ـ"يبدو كأنه ضُرب مراتٍ عديدة".

يقول جاك: "أوه. نعم ليس من الصعب أن يُضرب".

سأل جون بعد أن لبس جاك: "أين ستذهب؟"

يقول جاك: "أرجع إلى الفندق. رتبتَ كل شيء؟"

يقول جون: "نعم. رُتب كل شيء".

يقول جاك: "سأستلقي لوهلة".

ـ"سآتي إليك في حوالي السابعة إلا ربعاً وسنذهب لنأكل".

ـ"حسناً".

في الفندق خلع جاك حذاءه ومعطفه واستلقى لوهلة. كتبتُ رسالة. نظرتُ إليه بضع مرات، ولم يكن جاك نائماً. كان مستلقياً ساكناً تماماً، لكن بين الحين والحين كانت عيناه تنفتحان. أخيراً، جلس معتدلاً.

يقول: "أتلعب كريبيج cribbage يا جيري؟"

قلتُ: "أكيد".

ذهب إلى حقيبته وأخرج الورق منها ولوحة الكريبيج. لعبنا كريبيج وكسب ثلاثة دولارات مني. طرق جون الباب ودخل.

سأله جاك: "تريد أن تلعب كريبيج يا جون؟"

وضع جون قبعته على الطاولة. كانت كلها مبتلةً. كان معطفه مبتلاً أيضاً.

يسأل جاك: "هل تمطر؟"

يقول جون: "إنها تصبّ. سيارة الأجرة التي استقللتُها أُوقفتْ من زحمة المرور فنزلت منها ومشيت".

يقول جاك: "هيا، إلعب كريبيج".

-"يجب أن تذهب وتأكل".

يقول جاك: "لا. لا أريد أن آكل بعد".

هكذا لعبا كريبيج لمدة حوالي نصف ساعة وربح جاك دولاراً ونصفاً منه.

يقول جاك: "حسناً. أظن أنه يجب أن نذهب لنأكل". ذهب إلى النافذة ونظر إلى الخارج.

-"أما زالت تمطر؟"

-"نعم".

يقول جون: "لنأكل في الفندق".

يقول جاك: "حسناً. سألعب معك مرة أخرى لنرَ مَنْ سيدفع للوجبة".

بعد وهلة قصيرة ينهض جاك ويقول: "أنتَ تشتري الوجبة يا جون"، ونزلنا إلى الطابق السفلي وأكلنا في قاعة الطعام الكبيرة.

بعد أن أكلنا صعدنا إلى الطابق العلوي، لعب جاك كريبيج مع

جون مرة أخرى وكسب دولارينْ ونصفاً منه. كان جاك في حال جيدة تماماً. كانت مع جون حقيبة وكل متاعه فيها. خلع جاك قميصه وياقته ولبس كنزة ومعرق حتى لا يصاب بالبرد حين يخرج، ووضع ملابس الحلبة وبرنس الحمام في حقيبة.

يسأله جون: "أنتَ مستعد تماماً؟ سأتصل ليحضروا سيارة أجرة".

بعد فترة وجيزة رنّ جرس الهاتف وقالوا بأن سيارة الأجرة تنتظر.

هبطنا بالمصعد وخرجنا عَبْر الردهة، واستقللنا سيارة أجرة ودرنا إلى الحديقة. كانت تمطر بغزارة لكن كان يوجد كثير من الناس في الخارج في الشوارع. بيعت الحديقة كلها. حالما دخلنا ونحن في طريقنا إلى غرفة تغيير الملابس رأيتُ مدى امتلاء الحديقة. بدتْ كأنها على بُعد نصف ميل من الحلبة. كان الظلام تاماً. الأنوار فقط كانت فوق الحلبة.

يقول جون: "إنه لأمر جيد، وهذا المطر يهطل، أنهم لم يحاولوا إجراء الملاكمة في منتزه الرقص".

يقول جاك: "لديهم جمهور جيد".

ـ"هذه ملاكمة ستجذب أكثر بكثير مما يمكن أن تستوعبه الحديقة".

يقول جاك: "لا يمكنك التنبؤ بالطقس".

تقدم جون من باب غرفة تغيير الملابس ودسّ رأسه. كان جاك جالساً هناك وعليه برنس الحمّام، كانت ذراعاه مطويتين وكان ينظر إلى الأرض. كان مع جون بضعة عمّال خدمة الحلبة. نظروا من

فوق كتفه. رفع جاك نظره.

سأل: "هل هو في الحلبة؟"

قال جون: "ذهب قبل لحظة".

ذهبنا. كان وُلكوت يدخل الحلبة للتو. صفّق الجمهور تصفيقاً عاصفاً. صعد داخلا من بين الحبال وشبك كلتا قبضتيه معاً وابتسم، وهزّهما للجمهور، أولاً عند أحد جوانب الحلبة، ثم عند الجانب الآخر، ثم جلس. تلقى جاك تصفيقاً جيداً وهو يسير بين الجمهور. جاك إيرلندي والإيرلنديون دائماً يتلقون تصفيقاً جيداً إلى حد ما. الأيرلنديّ لا يجتذب المشاهدين في نيويورك كما يجتذبهم يهودي أو إيطالي، لكنهم يتلقون دائماً تصفيقاً جيداً. صعد جاك وانحنى ليدخل بين الحبال فتقدّم وُلكوت من ركنه ودفع الحبل إلى أسفل ليسمح لجاك بالدخول من خلاله. رأى الجمهور أن ذلك مدهش. وضع وُلكوت يده على كتف جاك ووقفا هناك لثانيةٍ فقط.

يقول جاك له: "هكذا ستصبح واحداً من هؤلاء الأبطال الشعبيين. أبعد يدك اللعينة عن كتفي".

يقول وُلكوت: "تماسك".

كل هذا شيء عظيم للجمهور. يا لمدى لطف الفتيان قبل الملاكمة! يا لطريقة تمني كل واحد للآخر حسنَ الحظ!

تقدّم سولي فريدمان إلى ركننا بينما جاك يضمّد يديه وجون في ركن وُلكوت. دسّ جاك إبهامه خلال الشق في الضمادة ثم لفّ يده جيداً وبسلاسة. لففتُها حول الرسغ مرة ثم مرتين حول عُقل أصابعه.

يقول فريدمان: "هيه. من أين حصلتَ على كل ذلك الشريط؟"

يقول جاك: "تحسسه. إنه طرّى، أليس كذلك؟ لا تكن ريفياً أخرق".

ظلّ فريدمان واقفاً هناك طيلة الوقت بينما جاك يضمّد يده الأخرى، وأحد الصبية الذين يخدمونه يحضر القفاز فأشدّه أنا على يديه وأربطه.

يسأل جاك: "قُل يا فريدمان، ما هي جنسية وُلكوت هذا؟"

يقول سولي: "لا أعرف. إنه نوع من الدنماركيين".

قال الصبيّ الذي أحضر القفّاز: "إنه من بوهيميا".

دعاهما الحكم إلى وسط الحلبة وذهب جاك. تقدم وُلكوت مبتسماً. التقيا ووضع الحكم ذراعيه على كتف واحد من كتفيّ كلٍ منهما.

يقول جاك لوُلكوت: "مرحباً، يا شعبية".

ـ "تماسك".

يقول جاك: "لماذا تدعو نفسك وُلكوت؟ ألا تعرف أنه كان زنجياً؟"

يقول الحكم: "إسمعا" ـ ويعرض عليهما نفس خط قواعد اللعبة القديم. ذات مرة قاطعة وُلكوت. أمسك بذراع جاك ويقول: "هل أستطيع ضربه حين يمسك بي هكذا؟"

يقول جاك: "أبعد يديك عني. لا يوجد تصوير سينمائي لهذا".

رجعا إلى ركنيهما. رفعتُ برنس الحمام عن جاك ومال على الحبال وثنى ركبتيه بضع مرات ودلّك حذائية بالراتينج. دق

الجرس القرصّي والتفتَ جاك بسرعة وتقدّم. اتجه وُلكوت نحوه وتلامس قفازاهما وحالما أسقط وُلكوت يديه انقضت يسرى جاك إلى وجهه مرتيْنَ. لم يوجد أي شخص يلاكم في أي وقت أفضل من جاك. تابعه وُلكوت، متقدماً إلى الأمام طيلة الوقت وذقنه على صدره. إنه خطّافّي ويبقي يديه واطئتين تماماً. كل ما عرفه هو التقدم والضرب بعنف. لكن في كل مرة تقدّم وُلكوت لصق جاك، تحطّ يسرى جاك على وجهه. كأنها ذاتيّة الحركة تماماً. يرفع جاك يسراه للتو فتحط على وجه وُلكوت. ثلاث أو أربع مرات انقض جاك بيمناه على وُلكوت لكن وُلكوت تلقاها على كتفيه أو عالياً على رأسه؟ إنه تماماً ككل هؤلاء الخطّافين. الشيء الوحيد الذي يخافه هو ملاكم من نفس نوعه. إنه مغطى في كل مكان يمكنك أن تؤذيه فيه. إنه لا يبالي بقبضة يسرى تحط على وجهه.

بعد حوالي أربع جولات جعله جاك ينزف نزيفاً سيئاً وجُرح وجهه كله، لكن في كل مرة اقترب وُلكوت كان يضرب جاك بعنف إلى حدّ أنه طبع بقعتَيْنْ حمراوين كبيرتين على كلا جنبيه تحت الأضلع تماماً. في كل مرة اقترب فيها، قيّده جاك، ثم حرّر إحدى يديه ولكمه لكمات علوية، لكن حين تتحرّر يديّ وُلكوت كان يضرب جسم جاك إلى درجة أنهم سمعوا اللكمات خارج الحديقة في الشارع. إنه ملاكم عنيف اللكمات.

تستمر الملاكمة بهذه الطريقة ثلاث جولات أخرى. لم يتكلما. ظلا يتلاكمان طيلة الوقت. عملنا الكثير لجاك أيضاً، بين الجولات. لم يبدُ في حال جيدة إطلاقاً لكنه لم يلاكم أبداً في الحلبة هكذا. لم يتنقل كثيراً في الحلبة لكن قبضته اليسرى كانت مجرد آلة

متحركة. كأنها كانت مربوطة بوجه وُلكوت وجاك يطلب منها فقط أن تعمل في كل مرة. جاك هادىء دائماً حين يقترب من خصمة ولم يضيّع أي عصير. إنه يعرف كل ما يُعمل عن قرب أيضاً ويبتعد مع كثير من الضرب. فيما كانا في ركننا شاهدتُه يقيّد وُلكوت، يحرّر يمناه، يديرها ويرتفع بها بقطع علوي أصاب أنف وُلكوت بطرف القفاز، بدأ وُلكوت ينزف نزيفاً شديداً فوضع أنفه على كتف جاك ليقدِّم إليه بعضاً منه أيضاً، فرفع جاك كتفه بحدّة وصدم أنفه، ثم أنزل يمناه عليه وعمل نفس الشيء ثانية.

اهتاج وُلكوت كجحيم. بعد أن أنهيا خمس جولات، كره وُلكوت شجاعةَ جاك. لم يكن جاك مهتاجاً؛ أي أنه لم يكن أكثر اهتياجاً مما هو عادة. من المؤكد أنه اعتاد على أن يجعل الذين يلاكمهم يكرهون الملاكمة. لذلك السبب كَرِه الفتى لويس إلى ذلك الحد. لم يصل أبداً إلى ماعز كيد. كان لدى كيد لويس حوالي ثلاث حركات قذرة جديدة لم يستطع جاك استخدامها. كان جاك دائماً آمنا تماماً ككنيسة طيلة الوقت الذي يمضيه داخل الحلبة طالما بقي محتفظاً بقوته. من المؤكد أنه يعامل وُلكوت معاملة خشنة. المضحك في الأمر أنه بدا كأن جاك ملاكم كلاسيكيّ مكشوف. كان ذلك لأنه يتمتع بكل تلك المهارة أيضاً.

بعد الجولة السابعة يقول جاك: "بدأتْ يسراي تثقل".

منذئذ بدأ يتلقى الضرب. لم يظهر عليه في البداية. لكن بدلاً من أن يدير هو دفة القتال بدأ وُلكوت يديره، بدلاً من أن يكون آمناً طيلة الوقت أصبح الآن معرّضاً للمتاعب. لم يعد يستطيع صدَّه بيسراه الآن. بدا كأن القتال ظلّ كما كان عليه في السابق،

الآن فقط بدلاً من أن تخطئه لكمات وُلكوت فقط راحت تصيبه. تلقى ضرباً عنيفاً على جسمه.

سأل جاك: "ما هي الجولة؟"

ـ"الحادية عشرة".

يقول جاك: "لن أستمر. رجلاي تسوءان".

ظلّ وُلكوت يضربه لمدة طويلة. كان كحارس في كرة بيسبول يتلقى الكرة فتصدمه ويرتد إلى الخلف. من الآن فصاعداً بدأ وُلكوت يقف على أرض صلبة. من المؤكد أنه كان آلة ضاربة. كان جاك يحاول فقط أن يصدّ كل الضربات الآن. لم تظهر قوة الضربات الرهيبة التي كان يتلقاها. بين الجولات عالجتُ رجليه. كانت عضلات رجليه ترتعش تحت يديّ طيلة الوقت الذي كنتُ أدلكها فيه. كان مريضاً كجحيم.

سألَ جون، ملتفتاً، وكل وجهه متورم: "كيف تسير الأمور؟"

ـ"إنها معركته".

يقول جاك: "أعتقد أنني أستطيع الصمود، لا أقبل أن يوقفني هذا البوهيميّ".

سارت الأمور تماماً كما فكر بأنها ستسير. عرف أنه لن يستطيع أن يهزم وُلكوت. لم يعد قوياً. كان في حال حسنة مع ذلك. كان ماله مضموناً والآن أراد أن ينهي القتال على نحو صحيح ليرضي نفسه. لم يرد أن يُطرح أرضاً.

قرع الجرس القرصّي ودفعناه إلى الحلبة. تقدم ببطء. دخل وُلكوت وراءه. حطّ جاك بيسراه على وجهه فتلقاها وُلكوت، ثم تقدم منه وانهال بضرباته على جسم جاك. حاول جاك تقييده فكان

هذا تماماً كمحاولة الإمساك بمنشار أزّاز. أفلتَ جاك منه وأخطأ الهدف بيمناه. ضربة وُلكوت بيسرى خطّافيه فسقط جاك. سقط على يديه وركبتيه ونظر إلينا. بدأ الحكم العدّ. كان جاك يراقبنا ويهزّ رأسه. عند الثامنة تحرك جون نحوه. لم نسمع الكلام بسبب الجمهور. نهض جاك. كان الحكم يمسك وُلكوت من إحدى ذراعيه ليوقفه فيما هو يعد.

حين وقف جاك على قدميه انطلق وُلكوت نحوه.

سمعتُ سولي فريدمان يصرخ به: "انتبه يا جيمي".

تقدم وُلكوت من جاك ناظراً إليه. أطلق جاك يسراه إليه. هزّ وُلكوت رأسه فقط. دفع جاك إلى الخلف على الحبال، قاسة ثم ضربة خطّافية خفيفة جداً بيسراه على جانب رأس جاك وضرب بيمناه ضربة عنيفة في جسمه بأقصى قوة لديه، على أوطأ جزء يصل إليه من جسمه. لابد أنه ضرب تحت الحزام بخمس بوصات. رأيتُ أن عينيّ جاك ستخرجان من رأسه. جحظتا إلى الخارج. انفتح فمه.

أمسك الحكم بوُلكوت. خطا جاك إلى الأمام. لو سقط ضاعت الخمسين ألف دولار. مشى كأن كل أحشائه كانت ستخرج ساقطة من جسمه.

قال: "لم تكن واطئة. كان حادثاً".

كان الجمهور يصرخ فلم نستطع أن نسمع منه أي شيء.

يقول جاك: "أنا بخير". كانا أمامنا تماماً. ينظر الحكم إلى جون ثم يهزّ رأسه.

يقول جاك لوُلكوت: "تقدّم، أنتَ يا بولنديّ أبن قحبة".

كـان جون يتعلق بالحبال. حمل المنشفة استعداداً للتجفيف. كان جـاك يقف على مـسـافة قصيرة من الحبال. خطا خطوة إلى الأمام. رأيتُ العـرق يسـيل على وجـهـه كأن شـخصاً عصره وسقطت قطرة كبيرة أسفل أنفه.

يقـول جاك لوُلكوت: "تقدّم وقاتل".

نظر الحكم إلى جـون ودفع وُلكوت إلى الأمام.

يقول جاك: "تقدّم، أنت يا قذر".

تقـدّم وُلكوت. لم يعـرف مـا يفـعله أيضاً. لم يكن يظن أبداً أن جـاك يمكنه أن يحتـمل هذا. حطّ جـاك بيسراه على وجـهه. انطلق جـحـيم من صراخ يتعالى. كانا أمامنا تماماً. ضربه وُلكوت مرتين. كـان وجـه جـاك أسـوأ مـا رأيته في حياتي، ـ النظرة المرتسمة عليه! كـان يتماسك بنفسه وبجسمه كله وظهر كل هذا على وجهه. طوال الوقت ظلّ يفكر ويتماسك بجسمه حيث ضُرب.

ثم أخـذ يضرب ضرباً عنيـفـاً. بدا وجهه رهيباً طيلة الوقت. بدأ يضرب بيـديه بعنف وهما واطئتـان على جنبيه، مصوّباً على وُلكوت. غـطى وُلكوت نفـسـه وجـاك يصـوّب بعنف على رأس وُلكوت. ثم سـدّد يـسراه وضرب وُلـكوت في أربيتّـه وضربت يمناه وُلكوت تمامـاً حـيث كـان وُلكوت قـد ضرب جـاك. منخـفـضـةً إلى أسفل تحت الحـزام. سـقط وُلكوت وأمـسك بنفـسه هناك وتدحرج وتلّوى حول نفسه.

أمـسك الحكم بجـاك ودفع به نحـو ركنه. قفز جون إلى الحلبة. انطلق كل الصراخ مـتـعـالياً. كـان الحكم يتـحدث إلى القضاة ثم دخل المذيعُ الحلبـة ومـعـه مكبرّ الصـوت ويقـول: "تعرّض وُلكوت

إلى مخالفة".

تحدّث الحكم إلى جون ويقول: "ماذا أفعل؟ لم يقبل جاك أن تُحسب له المخالفة. ثم حين تُنهك قواه يرتكب نفسَ المخالفة".

يقول جون: "خسرها على أي حال".

جاك جالس على الكرسي. نزعتُ قفازه فأمسك بأسفل جسمه بكلتا يديه. حين يُسند جسمه بشيء لا يبدو وجهه سيئاً جداً.

يقول جون في أذنه: "إذهب إليه وقُل إنك آسف. سيبدو هذا جيداً".

نهض جاك واقفاً والعرق يتصبب على كل وجهه. أحطتُه ببرنس الحمام فتماسك وإحدى يديه تحت برنس الحمام وعبر الحلبة. كانوا قد رفعوا وُلكوت عن الأرض وراحوا يعالجونه. كان يوجد كثير من الناس في ركن وُلكوت. لا أحد يتحدث إلى جاك. مال فوق وُلكوت.

يقول جاك: "أنا آسف. لم أقصد أن ارتكب مخالفة ضدك".

لم يقل وُلكوت شيئاً. بدا مريضاً جداً.

يقول له جاك: "حسناً، أنتَ البطل الآن. آمل أن تنال جحيماً من السعادة نتيجة لهذا".

يقول سولي فريدمان: "دع الفتى وشأنه".

يقول جاك: "مرحباً سولي. آسف أنني ارتكبت مخالفة ضد فتاك".

ينظر فريدمان إليه فقط.

اتجه جاك إلى ركنه وهو يمشي تلك المشية المضحكة المهتزة وأنزلناه من الحلبة من خلال الحبال وبين طاولات مراسلي الصحف

ثـم إلى الخـارج في الممـر بين الكراسي. أراد كـثير من الناس صـفعَ جـاك على ظهـره. خرج من بين كل ذلك الغوغاء ببرنس الحمام إلى غـرفـة تغـيير الملابس. إنه فـوز شـعبيّ لوُلكوت. تلك هي الطريقة التي يتم بها الرهان في الحديقة.

حالما دخلنا غرفة الملابس، تمدّد جاك وأغمض عينيه.

يقول جون : "نريد أن نصل إلى الفندق ونحضر طبيباً".

يقول جاك: "أنا كلي مرضوض في الداخل".

يقول جون: "أنا آسف كجحيم يا جاك".

يقول جاك: "أنا بخير".

يتمدد هناك وعيناه مغمضتان.

قـال جون: "يقيناً أنهم حاولوا ارتكاب خيانة جيدة".

قـال جـاك: "صـديقـاك مـورجـان وشـتاين فِلت. لك صديقان لطيفان".

يسـتلقي هناك، عـيناه مـفتوحتان الآن. لازالت على وجهه تلك النظرة المسحوبة البشعة.

يقـول جـاك: "من المضـحك كيف يمكنك أن تفكر بسرعة حين يعني ذلك الكثير من المال".

يقول جون: "أنتَ فتى رائع يا جاك".

يقول جاك: "لا. كان هذا لاشيء".

استفسار بسيط

في الخارج، كان الثلج أعلى من النافذة. تسللتْ أشعة الشمس خلال النافذة وتألق نورها على خريطة معلقة على جدار الكوخ المصنوع من خشب الصنوبر. كانت الشمس عالية وهبط النور على قمة الثلج. شَقَّ خندق طريقه على جانب الكوخ المكشوف، وفي كل يوم صافٍ عكست الشمس، المتألقة على الجدار، حرارةً على الثلج وأوسعت الخندق. كان الوقت أواخر مارس. جلس الرائد إلى طاولة قرب الحائط. جلس الرائد لصق الجدار. جلس معاونه إلى طاولة أخرى.

حول عينيّ الرائد ارتسمت دائرتان بيضاوان حيث كانت نظارته الثلجية تحمي وجهه من الشمس على الثلج. كان باقي وجهه محروقاً ثم مدبوغاً ثم محروقاً خلال الدبغة. كان أنفه منتفخاً وتراكمت أطراف من جلد مرتخٍ حيث انتشرت بثور. وفيما كان يتصفح الجريدة، غمس أصابع يده اليسرى في طبق زيت ونشر الزيت فوق وجهه، لامساً إياه بلطف شديد بأطراف أصابعه. كان حريصا جداً على تجفيف أصابعه على حافة الطبق حتى لم يكن يوجد عليها سوى شريط رقيق من الزيت، وبعد أن مسد جبهته ووجنتيه، مسد أنفه برقة شديدة بين أصابعه. حين أن انتهى نهض واقفاً وأخذ طبق الزيت ودخل غرفة الكوخ الصغيرة حيث ينام.

قـال للمعاون: "سأنام قليلاً" . المعاون في ذلك الجيش ليس ضابطاً مكلّفاً. "ستنهي كل شيء" .

أجـاب المعـاون: "نعم يا سِنيور ماجيوري" . مال إلى الخلف في كـرسيـه وتثـاءب. أخـرج كـتـابـاً بغـلاف ورق من جـيب مـعطفه وفـتـحه؛ ثم وضعه على الطاولة وأشعل غليونه. مال إلى الأمام على الطاولة ليـقـرأ ونفث دخـان غليـونه. ثم أغلق الكتـاب وأعـاده إلى جيـبـه. كانت لديه أعمال كتابية كثيرة لابد أن ينهيها. إنه لا يمكنه التـمـتع بالقـراءة إلاّ بعـد أن ينهـيها. في الخارج، اختفت الشمس خـلـف جـبل ولم يعـد نور على جـدار الكوخ. دخل جندي ووضع بـعـض فـروع خـشب صنوبر، مـقطوعـة بأطوال غير منتظمـة، في المدفأة. قال المعاون: "بهدوء يا بينين. الرائد نائم" .

كـان بينين عـامل ارتبـاط الرائد. كـان فـتى أسـمر الوجه، أعدّ المدفأة واضـعاً فيها خشب الصنوبر بعناية وأغلق الباب ثم ذهب إلى خلف الكوخ مـرة أخرى. استمر المعاون بتقليب أوراقه.

صاح الرائد: "توناني" .

ـ"نعم يا سِنيور ماجيوري" .

ـ"أرسل بينين إلى الداخل عندي" .

نـادى المـعـاون: "بينين" . دخل بينين الغـرفـة. قـال المعـاون: "الرائد يريدك" .

مـشى بينين عبر غـرفـة الكوخ الرئيسية نحو غرفة الرائد. طرق الباب نصف المفتوح. "سِنيور ما جيوري؟"

سمع المعاون الرائد يقول : "أدخل. وأغلق الباب" .

في داخل الغـرفة كان الرائد مستلقياً على سريره المثبّت بالحائط.

وقف بينين إلى جانب السرير. كان الرائد يستلقي ورأسه يرتكز على حقيبة الظهر التي حشاها بالملابس الاحتياطية ليكوّن منها مخدة. نظر وجهه الطويل المحروق المزّيت إلى بينين. كانت يداه تستقران على البطانيات.

سأل: "عمرك تسع عشرة سنة؟"

ـ"نعم يا سِنيور ماجيوري".

ـ"هل وقعتَ في أي يوم في الحب؟"

ـ"ماذا تعني يا سِنيور ماجيوري؟"

ـ"في الحب ـ مع فتاة؟"

ـ"كنتُ مع فتيات".

ـ"لم أسألكَ عن هذا. سألتُك إذا كنتَ أحببتَ ـ فتاة".

ـ"نعم يا سِنيور ماجيوري".

ـ"أنتَ تحب هذه الفتاة الآن؟ أنتَ لا تكتب إليها. أنا أقرأ كل رسائلك".

قال بينين: "أنا واقع في حبها، لكنني لا أكتب إليها".

ـ"أنتَ متأكد من هذا؟"

ـ"أنا متأكد".

قال الرائد بنفس نغمة الصوت: "توناني. هل تسمعني أتكلم؟"

لم يصدر أي جواب من الغرفة المجاورة.

قال الرائد: "إنه لا يسمعنا. وأنتَ متأكد تماماً من أنك تحب فتاة؟"

ـ"أنا متأكد".

نظر إليه الرائد نظرة سريعة. "وأنك لستَ فاسداً؟"

ـ"أنا لا أعرف ماذا تعني بفاسد".

قال الرائد: "حسناً. لاداعي للتظاهر بالتعالي".

نظر بينين إلى أرضيـة الغرفة. نظر الرائد إلى وجهه الأسمر، من أسـفله إلى أعـلاه، وإلى يديه. ثم تابع، دون أن يبـتسم. "أنتَ لا تريد حـقـاً ـ" صـمتَ الرائد. نظر بينين إلى الأرضـية. "إن رغبتك الشـديدة ليـست حـقـاً ـ" نظر بينين إلى الأرضية. أمال الرائد رأسه إلى الخلف وأسنده على الحـقـيـبـة وابتسم. شعر بارتياح تام: الحياة في الجـيش كـانت مـعـقـدة جـداً. قال: "أنتَ ولد طيب، أنتَ ولد طيب يا بينين، لكن لا تكن مـتـفوّقاً وكن حذراً من ألاّ يأتي شخص آخر ويأخذك".

وقف بينين ساكناً إلى جانب السرير الخشبي.

قـال الرائد: "لا تخف". كـانت يداه مطويتين على البطانيـات. "لن ألمسك. يمكنك أن تعود إلى فصيلك إذا شئت. لكن الأفضل لك أن تستمر كخادم لي. تكون لديك فرصة أقل لتُقتل".

ـ"هل تريد مني شيئاً يا سِنيور ماجيوري؟"

قـال الرائد: "لا. إذهب وتابع ما كنتَ تقوم به من عمل. أترك الباب مفتوحاً حين تخرج".

خـرج بينين وترك البـاب مـفـتـوحـاً. رفع المعاون نظره إليه وهو يمشي على نحـو أخـرق عبر الغـرفـة ويخرج من الباب. كان وجهه بينين محمّراً ويتـحـرك بطريقـة مختلفة عن طريقة تحركه حين أحضر الحـطـب للنار. نظر المعـاون وراءه وابتـسم. دخل بينين بمـزيد من حطب المدفأة. سـمـعـه الرائد، وهو مستلقٍ على سريره، ناظراً إلى خـوذتـه المـغـطـاة بـالقماش وإلى نظارة الثلج المعلّقة على مـسمار في

الجـدار، يمشي عبر الغـرفـة. فكّر: الشـيطان الصـغير، أتساءل إذا كان قد كذب عليّ.

عشرة هنود

في اليـوم التـالي للرابع من يوليـو، ونِك يعود متأخراً من البلدة إلى البـيت في العـربة الكبيرة مع جـو جـارنِر وعـائلتـه، مرّ بتسعة هنود سكارى على الطريق. تذكّر أنهم كـانوا تسـعـة لأن جو جارنِر أوقف الخـيل، وهو يقـود العـربة في الغـسق، وقـفـز نازلاً إلى الطريق وجرّ هندياً واحـداً بعـيـداً عن خط العجلات. كان الهندي نائماً، ووجهه إلى أسـفل في الرمل. جـرّه جـو إلى الشجيرات وعاد يعتلي صندوق العربة.

قال جو: "يجعل ذلك عددهم تسعة، من هنا حتى طرف المدينة فقط".

قالت السيدة جارنِر: "هم هنود".

كـان نِك في المقـعـد الخلفي مع ولدّي جـارنِر. كـان يلتـفت إلى الخلف من المقـعد الخلفي ليرى الهنديّ حيث جرّه جارنِر على جانب الطريق.

سأل كارل: "هل كان بيلي تابيشو؟"

ـ"لا".

ـ"يبدو بنطاله كبنطال بيلي تماماً".

ـ"يلبس كلُ الهنود نفس النوع من البناطيل".

قـال فرانك: "أنا لم أره قط. نزل بابا إلى الطريق وعاد إلى العربة

قبل أن أرى شيئاً. ظننتُ أنه كان يقتل ثعباناً".

قال جو جارنِر: "سيقتل كثيرٌ من الهنود أفاعٍ في هذه الليلة على ما أظن".

قالت السيدة جارنِر: "هم هنود".

تابعتْ العربة سيرها. تفرّع الطريق من الطريق الرئيسي وصعد التلال. كان جرّ العربة صعباً على الخيل فنزل الأولاد ومشوا. كان الطريق رملياً. التفتَ نِك إلى الخلف من قمة التل المجاور لمبنى المدرسة. رأى أنوار بيتوسكي وأنوار هاربر سبرينجز على الجانب الآخر من خليج ليتل ترافيرز. ركبوا العربة ثانية.

قال جو جارنِر: "يجب أن يفرشوا بعض الحصى على هذه الأرض". سارت العربة على الطريق عبر الغابة. جلس جو والسيدة جارنِر جنباً إلى جنب على المقعد الأمامي. جلس نِك بين الولدَيْن. وصل الطريق إلى أرض فضاء.

ـ"هنا كان المكان حيث داس بابا ظرباناً أمريكياً".

ـ"كان ذلك في مكان أبعد".

قال جو دون أن يدير رأسه: "لا يشكّل أي فرق أين حدث هذا. أي مكان يصلح فيه الدوس على ظربان كأي مكان آخر".

قال نِك: "رأيتُ ظربَيَنْ ليلة أمس".

ـ"أين؟"

ـ"أسفل إلى جانب البحيرة. كانا يبحثان عن سمك ميِّت على طول الشاطىء".

قال كارل: "ربما كانا راكونَيَنْ".

ـ"كانا ظربَيَنْ. أظن أنني أعرف الظربان".

قال كارل: "لابد أنك تعرف. أنتَ لديك صديقة هندية".

قالت السيدة جارنِر: "كفّ عن الكلام بتلك الطريقة يا كارل".

-"حسناً، إن لهنّ نفس الرائحة".

ضحك جو جارنِر.

قالت السيدة جارنِر: "كفّ عن الضحك يا جو. لا أريد أن يتكلم كارل بتلك الطريقة".

سأل جو: "هل لديكَ فتاة هندية يا نِكي؟"

-"لا".

قال فرانك: "لديه يا بابا. برودين ميتشيل هي فتاته".

-"إنها ليست صديقتي".

-"إنه يذهب ليراها كل يوم".

شعر نِك، وهو يجلس بين الولدَيْن في الظلام، بخواء وسعادة في نفسه لإغاظته حول برودنيس ميتشيل. قال: "أنا لا أذهب إليها. إنها ليست فتاتي".

قال كارل: "إصغِ إليه. إنني أراهما معاً كل يوم".

قالت أمه: "لا يصاحب كارل فتاة، حتى ولا امرأة هندية".

كان كارل هادئاً.

قال فرانك: "ليس كارل جيداً مع الفتيات".

-"أنتَ إخرس".

قال جو جارنِر: "أنتَ على ما يرام يا كارل. الفتيات لا توصل الرجلَ إلى أي مكان. أنظر إلى أبيك".

التصقتْ السيدة جارنِر بجو حين ارتجت العربة. "نعم، هذا ما كنتَ ستقوله. حسناً، أنتَ صاحبتَ كثيراً من فتيات في زمانك".

-"أنا متأكد من أن بابا لم يصاحب هندية حمراء أبداً".

قال جو: "ألا تظن هذا؟ يجب أن تأخذ حذرك حتى تحافظ على برودي يا نِك".

همستْ زوجته إليه وضحك جو.

سأل فرانك: "على ماذا تضحك؟"

حذّرت زوجته: "لا تقل يا جارنِر". ضحك جو مرة أخرى.

قال جو جارنِر: "يستطيع نِكي مرافقة برودينس. لدي أنا فتاة جيدة".

قالت السيدة جارنِر: "تلك هي طريقة الكلام".

كانت الخيل تجرّ العربة في الرمل بتثاقل. ساطها جو في الظلام.

-"هيا جرّوا، جروها. لابد أن تجروا بقوة أشد من هذا غداً".

هرولوا إلى أسفل التل الطويل، والعربة ترتجّ. عند بيت المزرعة نزل الكل من العربة. فتحتْ السيدة جارنِر الباب، دخلتْ البيت، ثم خرجتْ وبيدها مصباح. أنزل كارل ونِك الأشياء من مؤخرة العربة. جلسَ فرانك على المقعد الأمامي ليقود العربة إلى الحظيرة وفكّ رباط الخيل. ارتقى نِك الدرج وفتح باب المطبخ. كانت السيدة جارنِر تشعل ناراً في الموقد. التفتتْ وهي تصبّ الكيروسين على الحطب.

قال نِك: "وداعاً يا سيدة جارنِر. شكراً على أخذكم لي".

-"أوه. هذا لا شيء يا نِكي".

-"أمضيتُ وقتاً مدهشاً".

-"أحببنا أخذك معنا. ألا تريد البقاء وتناول بعض العشاء؟"

-"الأفضل أن أذهب. أظن أن أبي ينتظرني".

ـ"حسناً أسرع إذن. أرسل كارل إلى البيت، هل ستسمع؟"
ـ"حسناً".
ـ"تصبح على خير يا نِكي".
ـ"تصبحين على خير يا سيدة جارنِر".
خرج نِك من فناء المزرعة وهبط إلى الحظيرة. كان جو وفرانك يحلبان.
قال نِك: "تصبحان على خير. أمضيتُ وقتاً رائعاً".
قال جو جارنِر: "تصبح على خير يا نِك. ألن تبقى وتأكل؟"
ـ"لا، لا أستطيع. هل ستخبر كارل بأن أمه تريده؟"
ـ"حسناً. تصبح على خير يا نِكي".
سار نِك حافي القدمَيْن على الدرب عبر المرجِ أسفل الحظيرة. كان الدرب أملس والندى بارداً على قدميه الحافيتَيْن. تسلّق سياجاً عند نهاية المرج، هبط عبر وَهْدة، وقد تبللت قدماه في مستنقع الوحل، ومن ثم تسلّق غابة الزان الجافة إلى أن رأى أنوار الكوخ. تسلّق السياج ودار ماشياً حتى وصل إلى شرفة المدخل. رأى أباه من خلال النافذة جالساً إلى الطاولة، يقرأ في النور المنبعث من المصباح الكبير. فتح نِك الباب ودخل.
قال أبوه: "حسناً يا نِكي، هل كان يوماً جيداً؟"
ـ"أمضيتُ وقتاً رائعاً يا أبي. كان نهار الرابع من يوليو رائعاً".
ـ"هل أنتَ جائع؟"
ـ"تماماً".
ـ"ماذا فعلتَ بحذائك؟"
ـ"تركتُه في العربة في مزرعة جارنِر".

- "تعال إلى المطبخ".

سار أبو نِك أمامه بالمصباح. توقف ورفع غطاء صندوق الثلج. دخل نِك المطبخ. أحضر أبوه قطعة دجاج باردة على طبق وأبريق حليب ووضعهما على الطاولة أمام نِك. وضع المصباح على الطاولة.

قال: "توجد قطعة فطيرة أيضاً. هل يكفيك ذلك؟"

- "عظيم".

جلس أبوه على كرسّي بجانب الطاولة المغطاة بقماش مزّيت. ألقى ظلاً كبيراً على جدار المطبخ.

- "مَنْ فاز في لعبة الكرة؟"

- "بيتوسكي. خمسٌ إلى ثلاث".

جلس أبوه يراقبه وهو يأكل وملأ كأسه من إبريق الحليب. شرب نِك ومسح فمه بمنديل المائدة. مدّ أبوه يده إلى الرفّ ليصل إلى الفطيرة. قطع لنِك قطعة كبيرة. كانت فطيرة توت.

- "ماذا فعلتَ يا بابا؟"

- "خرجتُ لصيد السمك في الصباح".

- "ما الذي اصطدتَه؟"

- "فرخ فقط".

جلس أبوه يراقب نِك وهو يأكل الفطيرة.

سأل نِك: "ما الذي فعلتَه بعد ظهر اليوم؟"

- "قمتُ بنزهة على الأقدام حتى المخيم الهندي".

- "هل رأيتَ أحداً؟"

- "كان الهنود كلهم في البلدة يسكرون".

ـ"ألم تر أحداً قط؟"

ـ"رأيتُ صـديقتك برودى".

ـ"أين كانت؟"

ـ"كـانت في الغـابة مع فـرانك وُشـبيرن. رأيتُهما صـدفـة. كـانا يمضيان وقتاً طيباً".

لم يكن أبوه ينظر إليه.

ـ"ماذا كانا يفعلان؟"

ـ"لم أبقَ هناك لأرى".

ـ"أخبرني، ماذا كانا يفعلان؟"

قـال أبوه: "لا أعـرف. سـمـعـتـهما فقط يركضان من مكان إلى آخر".

ـ"كيف عرفتَ أنها هما؟"

ـ"رأيتُهما".

ـ"أظن أنك قلتَ إنك لم ترهما".

ـ"أوه نـعم، رأيتُهما".

سأل نِك: "مَنْ كان معها؟"

ـ"فرانك وُشبيرن".

ـ"هل كانا ـ هل كانا ـ ؟"

ـ"هل كانا ماذا؟"

ـ"هل كانا سعيدَيْن؟"

ـ"أظن هذا".

نهض أبوه عن الطاولة وخـرج من باب سـتارة المطبخ. حين عاد كان نِك ينظر إلى طبقه. كان يبكي.

أمسك أبوه بالسكين ليقطع الفطيرة: "خذ المزيد؟"
قال نِك: "لا".
-"يحسن أن تأخذ قطعة أخرى".
-"لا. لا أريد شيئاً منها".
رفع أبوه الطعام عن الطاولة.
سأل نِك: "أين كانا في الغابة؟"
-"بعيداً، خلف المخيم". نظر نِك إلى طبقة. قال أبوه: "يحسن أن تأوي إلى الفراش يا نِك".
- "حسناً".

دخل نِك غرفته، خلع ملابسه، واندس في السرير. سمع أباه يتحرك متنقلاً من مكان إلى آخر في غرفة المعيشة. استلقى نِك في السرير ووجهه في الوسادة.

فكّر: "تحطّم قلبي. إذا شعرتُ على هذا النحو لابد أن يتحطم قلبي".

بعد وهلة سمع أباه ينفخ ليطفىء المصباح ويدخل غرفته. سمع ريحاً تهبّ بين الأشجار في الخارج وأحسّ بها تدخل باردة من خلال الستارة. تمدّد لمدة طويلة ووجهه في الوسادة، وبعد وهلة نسي أن يفكّر في برودينس وأخيراً استغرق في النوم. حين استيقظ في الليل سمع الريح تهب بين أشجار الشوكران خارج الكوخ وأمواج البحيرة تندفع إلى الشاطىء، وعاد لينام. في الصباح، كانت ريح عاتية تهب والأمواج تندفع عالياً على الشاطىء وظل مستيقظاً لفترة طويلة قبل أن يتذكر أن قلبه تحطم.

طائر كناري لواحدة

مـرّ القطار بسرعـة هائلة بمنزل طويل من حجر أحمر له حديقة فيها أربع شـجـرات نخـيل كـثيفة وضعت تحتها طاولات في الظل. على الجـانب الآخـر كـان البـحـر. ثم كان هناك قَطْع خلال حجر أحمر وصلصـال، وكـان البـحـر عَرَضيـاً فـقط وبعـيـداً في الأسـفل على الصخور.

قـالتْ السـيـدة الأمـريكيـة: "اشتريتـه في باليرمو. أمضينا ساعةً واحـدة فـقـط على الشـاطىء وكـان الوقت صـبـاح يوم أحـد. أراد الـرجـل أن يُدفـع لـه بـالدولار فأعطيـتـه دولاراً ونصف. إنه يغـرد تغريداً جميلاً حقاً".

كـان الجـو حـاراً جـداً في القطار وكـان حـاراً جـداً في المقـصورة المضـاءة. لم يهب نسـيم من النافـذة المفـتـوحـة. أسـدلت السـيـدة الأمـريكيـة ستارة النافذة ولم يعد هناك بحر، حتى ولا عرضياً. على الجـانب الآخـر زجاج، ثم الممر، ثم نافذة مفتوحة، وخارج النافذة أشـجـار مـغـبرّة وطريق مـزّيت وحـقـول كـروم منبـسطة، مع تلال صخرية رمادية خلفها.

تصـاعـد دخان من مداخن طويلة عديدة ـ كنا ندخل مارسيليا، وخـفـف الـقـطـار من سرعـتـه وتبع خطاً واحـداً من خطوط كـثيرة تدخل المحطة. بقي القطار خمساً وعشرين دقيقة في المحطة في مدينة

مارسيليا فاشترت السيدة الأمريكية نسخة من جريدة الديلي ميل ونصف قنينة من ماء إيفيان الصحي. مشتْ مسافة قصيرة على رصيف المحطة، لكنها بقيتْ قرب درجات العربة لأن القطار في مدينة كان، حيث توقف مدة اثنتي عشرة دقيقة، بلا إشارة مغادرة وصعدت إليه فقط في اللحظة المناسبة تماماً. كانتْ السيدة الأمريكية صماءً قليلاً وتخشى أن تكون إشارات المغادرة قد أُطلقت ولم تسمعها.

غادر القطار المحطة في مارسيليا ولم تكن هناك فقط ساحة تحويل الخطوط ودخان المصانع بل، بالالتفات إلى الخلف، مدينةُ مارسيليا والمرفأ وتلالٌ صخرية خلفها وآخرُ الشمس على سطح الماء. وفيما كان الظلام يخيم مرّ القطار ببيت ريفي يحترق في حقل. توقفتْ سيارات على الطريق وتناثرتْ أسّرة وأشياء من داخل منزل المزرعة في الحقل. كان كثير من الناس يراقبون البيت وهو يحترق. بعد أن حلّ الظلام وصل القطار إلى أفينيون. نزل وصعد ناس. عند كشك جرائد اشترى فرنسيون، عائدين إلى باريس، جرائد ذلك اليوم الفرنسية. على أرصفة المحطة وقف جنود زنوج. ارتدوا بزّات بنيّة اللون وكانوا طوال القامة ووجوههم تلمع تحت النور الكهربائيّ. كانتْ وجوههم شديدة السواد وقاماتهم أطول من أن تحدّق فيها. غادر القطار أفينيون والزنوج يقفون هناك. كان معهم رقيبٌ أبيض قصير القامة.

داخل المقصورة المضاءة سحب عامل القطار ثلاثةَ أسّرة من داخل الجدار وأعدّها للنوم. في الليل استلقت السيدة الأمريكية دون أن تنام لأن القطار كان سريعاً ويسير بسرعة كبيرة جداً وهي

تخاف من السرعة في الليل. كان سرير السيدة الأمريكية محاذياً للنافذة تماماً. استقر كناري باليرمو، وقد فُردت على قفصه قطعة قماش، بعيداً عن التيار في الممر المؤدي إلى غرفة حمام المقصورة. أضاء خارجَ المقصورة نورٌ أزرق، وطوال الليل أندفع القطار بسرعة كبيرة جداً وتمددتْ السيدة الأمريكية مستيقظة وانتظرت وقوع صدام.

في الصباح، كان القطار قرب باريس، وبعد أن خرجت السيدة الأمريكية من غرفة الحمام، وهي تبدو ممتلئة صحة وفي أواسط العمر وأمريكية بالرغم من أنها لم تنم، وبعد أن نزعتْ قطعة القماش عن قفص الطير وعلّقتْ القفص في الشمس، ذهبتْ إلى عربة المطعم لتناول الإفطار. حين عادتْ إلى مقصورة النوم ثانية، كانت الأسّرة قد دُفعت إلى داخل الجدار ثانيةً وحولّتْ إلى مقاعد، بينما كان الكناري يهزّ ريشه في نور الشمس الذي تخلل النافذة المفتوحة، والقطار أقرب كثيراً من باريس.

قالت السيدة الأمريكية: "إنه يحب الشمس. سيغردّ الآن لوهلة قصيرة".

نفض الكناري ريشه وتخلّله بمنقاره. قالت السيدة الأمريكية: "لقد أحببتُ الطيور دائماً. سآخذه إلى الوطن لابنتي الصغيرة. ها هو - إنه يغرِّد الآن".

زقزق الكناري وانتصب الريش على حلقه، ثم هبط بمنقاره وتخلل ريشه مرة أخرى. عبر القطار نهراً ومرّ خلال غابة معتنى بها جيداً جداً. مرّ القطار عبر بلدات كثيرة خارج باريس. سارتْ في البلدات عربات ترام وكانت يافطات دعاية ضخمة عن بيل

جاردينيير ودوبونيت وبيرنو على الجدران المواجهة للقطار. بَدَتْ كل الأشياء التي مرّ بها القطار كأنها قبل الإفطار. لبضع دقائق لم أصغ إلى السيدة الأمريكية، التي كانت تكلم زوجتي.

سألتْ السيدة: "هل زوجك أمريكي أيضاً؟"

أجابت زوجتي: "نعم، كلانا أمريكين".

ـ"ظننتكما إنجليزيين".

ـ"أوه. لا".

قلتُ: "ربما لأنني ألبسُ حّمالة سراويل". كدتُ أقول علاّقة سراويل لكنني غيّرتها إلى حّمالة سراويل في فمي، لأحافظ على شخصيتي الإنجليزية. لم تسمع السيدة الأمريكية. كانت حقاً صماء تماماً؛ تقرأ الشفاة، ولم أنظر أنا نحوها. نظرتُ إلى خارج النافذة. تابعتْ حديثها إلى زوجتي.

كانت السيدة الأمريكية تقول: "أنا مسرورة جداً لأنكما أمريكيان. الرجال الأمريكيون يشكلون أفضل الأزواج. لذلك السبب تركنا القارّة، كما تعرفين. وقعتْ ابنتي في حب رجل من فيفي". سكتتْ. "إنهما ببساطة مجنونان حباً". سكتتْ مرة أخرى. "أبعدتهُا، طبعاً".

سألتْ زوجتي: "هل شفيَتْ منه؟"

قالت السيدة الأمريكية: "لا أظن هذا. ما كانتْ تأكل أي شيء وما كانت تنام إطلاقاً. بذلتُ قصارى جهدي لكنها لا تبدو أنها تهتم بأي شيء. إنها لا تهتم بالأشياء. لم أستطع منعها من أن تتزوج أجنبياً". صمتتْ. "شخصٌ، صديقٌ جيد جداً، أخبرني مرة: 'لا يوجد أجنبيّ يمكنه أن يكون زوجاً جيداً لأمريكية'."

قالت زوجتي: "لا. لا أظن هذا".

أعجبتْ السيدة الأمريكية بمعطف زوجتي الخاص بالسفر، وظهرَ أن السيدة الأمريكية استمرتْ تشتري ملابسها الخاصة لمدة عشرين سنة حتى الآن من نفس دار تصميم الأزياء في شارع سان هونورية. لديهم قياساتها، وكانتْ هناك بائعة تعرفها وتعرف ذوقها تختار لها الفساتين وتُرسلها إلى أمريكا. كانت تصل إلى مكتب البريد قرب الحيّ الذي تعيش فيه في نيويورك، ولم تكن الرسوم الجمركية باهظة لأنهم يفتحون الفساتين في مكتب البريد هناك ليقيّموها وهي دائماً بسيطة المظهر جداً بلا أشرطة ذهب ولا زينات تجعل الفساتين تبدو غالية. قبل البائعة الحالية، وتسمى تيريز، كانت هناك بائعة أخرى تسمى إميليا. كانت هناك هاتان الاثنتان فقط خلال العشرين سنة. وكان دائماً نفس مصمم الأزياء. الأسعار، مع ذلك، ارتفعتْ. لكن سعر تحويل العملة، عادلَ ذلك الارتفاع. لديهم قياسات ابنتها الآن أيضاً. هي كبرتْ ولا توجد فرصة كبيرة في تغيرّ قياساتها الآن".

كان القطار يدخل باريس الآن. والتحصينات سُوّيت لكن العشب لم ينمُ بعد. كانت توجد عربات كثيرة تقف على خطوط سكك الحديد ـ عربات طعام خشبيّة بنيّة وعربات نوم خشبيّة بنيّة ستغادر المحطة إلى إيطاليا في الساعة الخامسة في تلك الليلة، إذا كان ذلك القطار ما زال يغادر في الخامسة؛ كُتبت على العربات باريس ـ روما، وعربات، بمقاعد على الأسطح، تنطلق ذهاباً وإياباً إلى الضواحي وفيها ناسٌ على كل المقاعد وعلى الأسطح، في ساعات معيّنة، إذا كان ذلك هو نفس الطريق الذي لا تزال

تسلكه، وتمرّ حيث كانت الجدران البيضاء ونوافذ البيوت العديدة. لم يؤكل شيء من الفطور.

قالت السيدة الأمريكية لزوجتي: "الأمريكيون هم أفضل أزواج". كنتُ أنزل الحقائب. "الرجال الأمريكيون هم الرجال الوحيدون في العالم الصالحون للزواج".

سألتْ زوجتي: "منذ متى غادرتم فيفي؟"

-"قبل سنتين من هذا الخريف. إليها، أنتِ تعرفين، سآخذ الكناري".

-"هل كان الرجل الذي وقعتْ ابنتك في حبه سويسرياً؟"

قالتْ السيدة الأمريكية: "نعم. كان من عائلة محترمة جداً في فيفي. كان سيصبح مهندساً. التقيا هناك في فيفي. اعتادا أن يمشيا مشاوير طويلة معاً".

قالتْ زوجتي: "أنا أعرف فيفي. كنا هناك في شهر العسل".

-"هل كنتما حقاً؟ لابد أن ذلك كان جميلاً. لم تكن لدي أدنى فكرة، طبعا، بأنها ستقع في حبه".

قالت زوجتي: "كانت مكاناً جميلاً جدا".

قالت السيدة الأمريكية: "نعم. أليست فيفي مكاناً جميلاً؟ أين أقمتما هناك؟"

قالت زوجتي: "أقمنا في Troi Corone/ التيجان الثلاثة".

قالت السيدة الأمريكية: "إنه فندق قديم جميل".

قالت زوجتي: "نعم. كانت لدينا غرفة جيدة وفي الخريف كان الريف جميلا جدا".

-"هل كنتما هناك في الخريف؟"

قالت زوجتي: "نعم".

كنا نمر بثلاث عربات محطمة. كانت مشظّاة ومفتوحة وأسطحها متدلية إلى الداخل.

قلتُ: "أنظرا. كان هناك حادث".

نظرتْ السيدة الأمريكية ورأتْ العربة الأخيرة. قالتْ: "كنتُ خائفة من ذلك تماماً طيلة الليل. لدي إحساس داخلي رهيب عن أشياء أحياناً. لن أسافر بقطار سريع مرة أخرى في الليل أبداً. لابد أن هناك قطارات أخرى مريحة لا تسير بسرعة كبيرة كهذه".

دخل القطار عتمة محطة ليون، ثم توقف واقترب الحمّالون من النوافذ. ناولتُ حقائبنا من خلال النوافذ، وخرجنا إلى الامتداد المعتم للرصيف، ووضعت السيدة الأمريكية نفسها تحت تصرف رجلٍ من ثلاثة رجال من شركة كوك للسياحة قال: "لحظة يا سيدتي، سأبحث عن اسمك".

أحضر الحمّال عربة شاحنة وكوّم عليها المتاع وقالتْ زوجتي مع السلامة وقلتُ أنا مع السلامة للسيدة الأمريكية التي عثر الرجل من شركة كوك على اسمها في صفحة مطبوعة على آلة كاتبة في رزمة أوراق مطبوعة على آلة كاتبة يدسّها في جيب.

تبعنا الحمّال مع العربة الشاحنة على رصيف الإسمنت الطويل الممتد إلى جانب القطار. في النهاية، وصلنا إلى بوّابة وأخذ رجلٌ التذاكر.

كنا عائدَيْن إلى باريس لنرتّب إقامتَيْن منفصلتَيْن.

أنشودة ألبية

كان حاراً الهبوط إلى الوادي حتى في الصباح الباكر. أذابت الشمسُ الثلجَ عن الزلاّجات التي كنا نحملها وجففتْ الخشب. كان الفصل ربيعاً في الوادي لكن الشمس كانت حارة جداً. سرنا على الطريق إلى داخل جالترَ حاملينَ الزلاّجات وحقائب الظهر. فيما نحن نمرّ بفناء الكنيسة كانت عملية دفن قد انتهتْ في التو. قلتُ للقسيس حين مرّ بنا بعدما خرج من فناء الكنيسة. "نهارك سعيد". انحنى القسيس.

قال جون: "من المضحك ألاّ يتكلم قسيس معك إطلاقاً".

ـ"تظن أنهم يحبون أن يقولوا: 'نهارك سعيد'."

قال جون: "إنهم لا يجيبون أبداً".

توقفنا في الطريق وشاهدنا القندلفت يجرف في التربة الجديدة. وقف فلاح بلحية سوداء وجزمة جلدية طويلة إلى جانب القبر. توقف القندلفت عن الجَرْف واستقام ظهره. أخذ الفلاح ذو الجزمة الطويلة المجرفة من القندلفت وتابع ردم القبر ـ فارشاً التراب على الأرض بانتظام كرجل ينشر السماد في حديقة. في صباح مايو المشرق بدا ردم القبر منظراً لاواقعياً. لم أتخيّل أي شخص ميت.

قلتُ لجون: "تخيل أن تُدفن في يوم كهذا".

ـ"لن أحب هذا".

قلت: "حسناً، يجب ألاّ نفعلها".

سرنا على الطريق أمام منازل البلدة إلى النُزُل. ظللنا نتزلج في سِلْفريتا لمدة شهر، وكان جيداً أن تكون في الأسفل في الوادي. في سِلفريتا كان التزلج جيداً، لكنه كان تزلجاً ربيعياً، فالثلج صالحٌ للتزلج فقط في الصباح الباكر وكذلك في المساء. في بقية الوقت كانت الشمس تفسده. كنا كلانا تعبَيَنْ من الشمس. لم يكن يمكنك الابتعاد عن الشمس. كانت الظلال الوحيدة تلقيها الصخور أو الكوخ المبني تحت حماية صخرة إلى جانب نهرْ جليدي، وفي الظل كان العرق يتجمد في ملابسك الداخلية. لم يكن باستطاعتك الجلوس خارج الكوخ دون نظّارات داكنة. كان مبهجاً أن تحترق حتى تسوّد، لكن الشمس كانت متعبة. لم يكن باستطاعتك الإحساس بالراحة تحتها. كنتُ مسروراً لبقائي في الأسفل بعيداً عن الثلج. كان الوقت متأخراً جداً من الربيع على الصعود إلى سِلفريتا. كنتُ تعباً قليلاً من التزلج. لقد بقينا لفترة أطول من اللازم. كنتُ أحسّ بطعم ماء الثلج الذي ظللنا نشربه وقد ذاب ساقطاً عن سطح الكوخ الصفيحي. كان مذاقه جزءاً مما أحسّ به نحو التزلج. كنتُ سعيداً لوجود أشياء أخرى إضافة إلى التزلج، وكنتُ سعيدا لكوني في الأسفل، بعيداً عن ربيع الجبل العالي غير الطبيعيّ، في صباح مايو هذا في الوادي.

جلس صاحب النزل في شرفة مدخل النزل وقد مال بكرسيه إلى الخلف مستنداً على الحائط. إلى جانبه جلس الطبّاخ.

قال صاحب الفندق: "مرحباً بالتزلج".

قلنا: "مرحباً"، وأسندنا الزلاّجات على الحائط وخلعنا حقائب

الظهر.

سأل صاحب الفندق: "كيف كانت الحال في الأعلى فوق؟"

ـ"شمس/ schon. قليلاً من شمس كثيرة جداً".

ـ"نعم. هناك كثير جداً من الشمس في هذا الوقت من السنة".

كان الطبّاخ يجلس في كرسيّه. دخل صاحب النزل معنا وفتح مكتبه وأخرج بريدنا. كانت فيه رزمة رسائل وبعض الصحف.

قال جون: "لنشرب بعض البيرة".

ـ"حسناً. سنشربها في الداخل".

أحضر صاحب النزل قنينتيّ بيرة وشربناها ونحن نقرأ الرسائل.

قال جون: "يحسن بنا أن نشرب المزيد من البيرة". أحضرتها فتاة هذه المرة. ابتسمتْ وهي تفتح القنينتَيْن.

قالت: "رسائل كثيرة".

ـ"نعم. كثيرة".

قالت: "في صحتكما"، وخرجتْ، آخذةً القنينة الفارغة.

ـ"نسيتُ مذاق البيرة".

قال جون: "أنا لم أنسَ مذاقها. فوق، في الكوخ، فكرتُ بها كثيرا".

قلت: "حسناً. ها نحن نشربها الآن".

ـ"لا تقم بعمل أي شيء مدة أطول من اللازم".

ـ"لا. ظللنا في الأعلى هناك مدة أطول من اللازم".

قال جون: "مدة طويلة جداً ولعينة. ليس جيداً عمل شيء مدة أطول من اللازم".

تسللتْ الشمس من النافذة المفتوحة وتلألأتْ خلال قنينتيّ البيرة على الطاولة. كانتْ القنينتان نصف مليئتَيْنْ. تكّونت رغوة قليلة على البيرة في القنينتين، ليس الكثير منها، فقد كانت باردة جداً. ارتفعتْ أطواقاً في القنينتَيْنْ حين صببتها في الكأسين الطويلين. نظرتُ من النافذة المفتوحة إلى الشارع الأبيض. كانت الأشجار إلى جوار الطريق مغبّرة. ووراءها امتد حقل أخضر وجدول ماء. امتدتْ أشجار على طول الجدول ومنشرة بعجلة ماء. من خلال الجانب المفتوح رأيتُ زند خشب طويلاً ومنشاراً فيه يرتفع وينخفض. لم يظهر أن أحداً يعمل فيها. كانت هناك أربعة غربان تمشي في الحقل الأخضر. جثم غراب واحد على شجرة مراقباً. في الخارج على شرفة المدخل نهض الطبّاخ عن كرسيه ودخل الردهة المؤدية إلى الخلف إلى داخل المطبخ. في الداخل، تألّق نور الشمس خلال الكؤوس الفارغة على الطاولة. كان جون يميل إلى الأمام ورأسه على ذارعيه.

من النافذة رأيتُ رجلَيْنْ يرتقيان الدرج الأمامي. دخلا غرفة الشراب. كان أحدهما الفلاح الملتحي بالجزمة العالية. كان الآخر القندلفت. جلسا إلى الطاولة تحت النافذة. دخلتْ الفتاة ووقفتْ إلى جانب طاولتهما. لم يبدُ أن الفلاح يراها. جلس ويداه على الطاولة. كان يرتدي ملابسه العسكرية القديمة. هناك رُقَع على مرفقيه.

سأل القندلفت: "ماذا سيكون؟" لم يوله الفلاح انتباهه.

ـ"ما الذي ستشربه؟"

قال الفلاح: "شنابس".

قال القندلفت للفتاة: "وربع لتر من النبيذ الأحمر".

أحضرتْ الفتاة الشراب وشرب الفلاح الشنابس. نظر إلى خارج النافذة. راقبه القندلفت. كان رأس جون على الطاولة. كان نائماً.

دخل صاحب النزل واقترب من الطاولة. تكلّم بالعامية وردّ عليه القندلفت. نظر الفلاح إلى خارج النافذة. خرج صاحبُ النزل من الغرفة. نهض الفلاح واقفاً. أخرج ورقة نقدية بعشرة آلاف كرون من محفظة جيب جلدية وفردها. اقتربت الفتاة.

سألتْ: "هيا؟"

قال: "هيا".

قال القندلفت: "لأدفع ثمن النبيذ".

كرّر الفلاح الكلمة للفتاة. "هيا". دسّتْ يدها في جيب مئزرها، أخرجتها مليئة بعملة معدنية وعدّت الباقي. خرج الفلاح من الباب. حالما خرج، دخل صاحب النزل إلى الغرفة مرة أخرى وتحدّث إلى القندلفت. جلس إلى الطاولة. كان القندلفت مسروراً. كان صاحب النزل مشمئزاً. وقف القندلفت بعيداً عن الطاولة. كان رجلاً ضئيلاً بشارب. مال خارج النافذة ورفع نظره إلى الطريق.

قال: "ها هو يدخل".

-"إلى محل لووين؟"

-"نعم/ ja".

تحدثا مرة أخرى ثم تقدّم صاحب النُزُل نحو طاولتنا. كان صاحب النزل طويلاً وعجوزاً. نظر إلى جون وهو نائم.

ـ "إنه تعب تماماً" .

ـ "نعم، نهضنا مبكرين" .

ـ "هل تريدان تناول الطعام خلال وقت قصير؟"

قلت: "في أي وقت. ماذا يوجد للأكل؟"

ـ "أي شيء تريدانه. ستحضر الفتاة بطاقة الأكل" .

أحضرتْ الفتاة القائمة. استيقظ جون. كانت القائمة مكتوبة بالحبر على بطاقة وزُلقتْ في لوحة خشبية.

قلتُ لجون: "يوجد طبق اليوم" . نظر إليها. كان لا يزال نعساناً.

سألتُ صاحب النزل: "ألا تريد أن تشرب معنا؟" جلس. قال: "هؤلاء الفلاحون وحوش" .

ـ "رأينا ذلك الرجل في جنازة ونحن ندخل البلدة" .

ـ "تلك كانت زوجته" .

ـ "أوه" .

ـ "إنه وحش. كل هؤلاء الفلاحين وحوش" .

ـ "ماذا تعني؟"

ـ "لن تصدق هذا. لن تصدق ما حدث مع ذلك الشخص" .

ـ "أخبرني" .

ـ "لن تصدقه" . قال صاحب النزل للقندلفت: "فرانز. تعال إلى هنا" . جاء القندلفت، جالباً قنينة النبيذ الصغيرة وكأسه.

قال صاحب النزل: "حضر السيدان من وايزبادين إيرهوت" . تصافحنا.

سألتُ: "ماذا ستشرب؟"

هزّ فرانز أصبعه. "لا شيء".

-"ربع لتر آخر؟"

-"حسناً".

سأل صاحب النزل: "أتفهم اللغة العامية؟"

-"لا".

سأل جون: "عمَّ يدور كل هذا؟"

-"سيحدثنا عن الفلاح الذي رأيناه يردم القبر، ونحن ندخل البلدة".

قال جون: "لا أفهم هذا، على أي حال. كلامه أسرع من أن أفهمه".

قال صاحب النزل: "ذلك الفلاح، اليوم أحضر زوجته لتُدفن. ماتت في نوفمبر الماضي".

قال القندلفت: "في ديسمبر".

-"ذلك لا يشكّل فرقاً. ماتت في ديسمبر الماضي ثم أعلم السلطات المحلية".

قال القندلفت: "في الثامن عشر من ديسمبر".

-"على أي حال، لم يستطع إحضارها إلى هنا لتدفن حتى يذوب الثلج".

قال القندلفت: "إنه يعيش على الجانب الآخر من بازْناون، لكنه تابع لهذه الأبرشية".

سألت: "لم يستطع إحضارها إلى هنا أبداً؟"

-"لا. إنه لا يستطيع الوصول، من حيث يعيش، على زلاجات حتى يذوب الثلج. لذلك أحضرها اليوم إلى هنا لتُدفن وحين نظر

القسيس إلى وجهها، لم يرد أن يدفنها" . قال للقندلفت: "تابع وقصّ القصة. تحدّث بالألمانية، لا العامية" .

قال القندلفت: "كان الوضع سخيفاً مع القسيس. في التقرير إلى السلطات المحلية ماتت من متاعب قلبية. عرفنا هنا أنها تعاني من متاعب قلبية. كان يغمى عليها في الكنيسة أحياناً. لم تحضر منذ وقت طويل. لم تكن قوية لتصعد. حين كشف القسيس عن وجهها سأل أولز: 'هل عانتْ زوجتك كثيراً؟' قال أولز: 'لا. حين دخلتُ البيت كانت ميتة على عرض السرير' . "

-"نظر القسيس إليها مرة أخرى. لم يعجبه منظرها. 'كيف أصبح وجهها بهذا الشكل؟' قال أولز: 'لا أعرف' . قال القسيس: 'يحسن أن تعرف' ، وأعاد البطانية. لم يقل أولز شيئاً. نظر القسيس إليه. نظر أولز إليه: 'تريد أن تعرف؟' قال القسيس: 'يجب أن أعرف' . "

قال صاحب النزل: "هنا موقف جيد. استمع إلى هذا. تابع يا فرانز" .

قال أولز: " 'حسناً، حين ماتت كتبتُ تقريراً إلى السلطات المحلية ووضعتُها في السقيفة على قمة كومة الحطب كبير الحجم. حين بدأتُ استعمل الحطب الكبير، كانت متيبّسة فاوقفتها مستندة على الحائط. كان فمها مفتوحاً فكنتُ حين أدخل السفيفة ليلاً لقطع الحطب الكبير، أعلّق المصباح به" . سأل القسيس: 'لماذا فعلتَ هذا؟' قال أولز: 'لا أدري' . 'هل فعلتَ ذلك مرات كثيرة؟' 'كل مرة دخلت فيها السقيفة للعمل في الليل' . قال القسيس: 'كان عملاً خاطئاً جداً، هل أحببتَ زوجتك؟' قال

أولز: 'جـا/ نعم، أحببتُها. أحببتها كثيراً'.

سأل صـاحب النزل: "هل فهمتما كل هذا؟ فهمتما كل شيء عن زوجته؟"

ـ"سمعتُه".

سأل جون: "ماذا بالنسبة إلى الأكل؟"

قلت: "أطلب الطعـام". سألتُ صاحب النزل: "هل ترى بأنها حقيقية؟"

قـال: "أكيد أنها حقيقية. هؤلاء الفلاحون وحوش".

ـ"أين ذهب الآن؟"

ـ"ذهب ليشرب في محل زميلي، لووين".

قال القندلفت: "لم يرد أن يشرب معي".

قـال صـاحب النزل: "لم يرد أن يشرب مـعه، بعد أن عرف عن زوجته".

قال جون: "قُل، ماذا بالنسبة إلى الأكل؟"

قلتُ: "حسن".

سباق مطاردة

اشترك وليم كامبيل في سباق مطاردة مع عَرْض هزلّي لأول مرة منذ بيتسبيرج. في سباق مطاردة، في سباق دراجات هوائية، يبدأ الراكبون في فترات متساوية للركوب واحداً وراء الآخر. إنهم يركبون بسرعة كبيرة جداً لأن السباق مقصور عادة على مسافة قصيرة وإذا أبطأوا في ركوبهم فإن راكباً آخر يحافظ على خطوه سيعوّض المسافة التي تفصل بينهما عند الانطلاق. حالما يُلحق براكب ويتُجاوَز يخرج من السباق وينزل هو عن دراجته ويترك خط السباق. إذا لم يلحق بأي واحد من الراكبين يكون الفائز هو الذي يقطع أطول مسافة. في معظم سباقات المطاردة، إذا كان يوجد متسابقَينْ اثنين فقط، يُلحق به ضمن مسافة ستة أميال. لحقَ العرض الهزلي بوليم كامبيل في مدينة كانساس.

أمِل وليم كامبيل أن يتقدم المشهد الهزلي بمسافة قصيرة حتى يصلوا إلى ساحل المحيط الهادىء. طالما تقدّم المشهد الهزلي كرجل في الطليعة فإنه سيتقاضى نقوداً. حين لحق به المشهد الهزلّي كان في السرير. كان في السرير حين دخل مدير مجموعة الهزليين غرفته وبعد أن خرج المدير من الغرفة كان يمكن أيضاً أن يبقى في السرير. كان الجو بارداً جداً في مدينة كانساس ولم يكن مستعجلاً للخروج. لم يحب مدينة كانساس. مدّ يده تحت السرير وأمسك

بقنينة وشرب. حسَّن الشراب من حال معدته. رفض السيد تيرنير، مدير المشهد الهزلي، جرعةَ شراب.

كانت مقابلة وليم كامبيل مع السيد تيرنير غريبة إلى حد ما. طرق السيد تيرنير على الباب. قال كامبيل: "أدخل". حين دخل السيد تيرنير إلى الغرفة رأى ملابسَ على كرسي، وحقيبة ملابس مفتوحة، والقنينة على كرسّي إلى جانب السرير، وشخصاً على السرير مغطى كله تماماً بالأغطية.

قال السيد تيرنير: "سيد كامبيل".

قال وليم كامبيل من تحت الأغطية: "لن تطردني". كان دافئاً وأبيض وملتصقاً تحت الأغطية. "لن تطردني لأنني نزلتُ من دراجتي".

قال السيد تيرنير: "أنتَ سكران".

قال وليم كامبيل، متكلماً من تحت الملاءات مباشرة ومتحسساً النسيج بشفتيه: "أوه، نعم".

قال السيد تيرنير: "أنت أبله". أطفأ النورَ الكهربائي. ظل النور الكهربائي مضاءً طيلة الليل. كانت الساعة الآن العاشرة صباحاً. "أنت أبله سكير. متى دخلتَ هذه البلدة؟"

قال كامبيل، متكلماً لصق الملاءة: "وصلتُ إلى هذه البلدة في الليلة الماضية". اكتشف أنه يحب التحدث من خلال ملاءة. سأل: "هل تكلمتَ في حياتك من خلال ملاءة؟"

- "لا تحاول أن تكون ظريفاً. أنتَ لست ظريفاً".

- "أنا لا أتظارف. أنا أتكلم من خلال ملاءة فقط".

- "أنتَ تتكلم من خلال ملاءة حقاً".

قال كامبيل: "يمكنك أن تذهب الآن يا سيد تيرنير. لم أعد أعمل عندك".

-"أنتَ تعرف هذا على أي حال".

قال وليم كامبيل: "أنا أعرف الكثير" سحب الملاءة إلى أسفل ونظر إليه: "أنا أعرف ما يكفي لذلك لا يهمني النظر إليك إطلاقاً. أتريد أن تسمع ما أعرفه؟"

- "لا".

قال وليم كامبيل: "جيد. لأنني حقاً لا أعرف أي شيء إطلاقاً. كنتُ أتكلم فقط". سحب الملاءة إلى أعلى وغطى وجهه ثانية. قال: "أحب الوضع تحت الملاءة". وقف السيد تيرنير إلى جانب السرير. كان رجلا متوسط العمر بكرش كبير ورأس أصلع وكان أمامه أعمال كثيرة ليقوم بها. قال: "يجب أن تتوقف هنا يا بيلي، وتتلقى علاجاً. سأرتّب هذا إذا أردتَ فعل هذا".

قال وليم كامبيل: "لا أريد أن أتلقى أي علاج. لا أريد تلقي أي علاج إطلاقاً. أنا سعيد تماماً. طيلة حياتي ظللتُ سعيداً تماماً".

-"كم مضى عليك وأنتَ على هذه الحال؟"

تنفس وليم كامبيل شهيقاً وزفيراً من خلال الملاءة: "ياله من سؤال!"

-"كم مضى عليك وأنت مدمن يا بيلي؟"

-"ألم أقم بعملي؟"

-"أكيد. سألتكَ للتو كم مضى عليك وأنت مدمن يا بيلي؟"

-"لا أدري. لكنني استعدتُ ذئبي". لمس الملاءة بلسانه.

"أبقيتُه معي أسبوعاً" .

ـ"الجحيمَ أبقيتَه" .

ـ"أوه، نعم. يا ذئبي العزيز. كل مرة أشرب فيها يخرج من الغرفة. إنه لا يحتمل الكحول. الزميل الضئيل المسكين" . حرّك لسانه مرات عديدة على الملاءة. "إنه ذئب جميل. إنه تماماً كما كان دائماً" . أغمض وليم كامبيل عينيه وأخذ نَفَسَاً عميقاً.

قال السيد تيرنير: "لابد أن تتلقى علاجاً. لن تمانع بـ كيلي؟ إنه ليس سيئاً" .

قال وليم كامبيل: "كيلي، إنه ليس بعيداً عن لندن " . أغمض عينيه وفتحهما، محرّكاً رموشه على الملاءة. قال: "أنا أحب الملاءات" . نظر إلى السيد تيرنير.

"إسمع. أنتَ تظن أنني سكران؟ "

ـ"أنتَ سكران" .

ـ"لا، لستُ سكراناً" .

ـ"أنت سكران وتعاني من هذيان ارتعاشّي من الإدمان" .

ـ"لا" . لفّ وليم كامبيل الملاءة حول رأسه. قال: "ملاءة عزيزة" . تنفس عليها بلطف. قال: "ملاءة جميلة. أنتِ تحبينني، أليس كذلك يا ملاءة؟ إنها تحُسب مع أجرة الغرفة. تماماً كما في اليابان. لا، إسمع يا بيلي العزيز المنزلق، لدي مفاجأة لك. أنا لستُ سكراناً. أنا مخدّر حتى العينين" .

قال السيد تيرنير: "لا" .

ـ"ألقِ نظرة" . أخرج وليم كامبيل كمّ سترة منامته الأيمن من تحت الملاءة، ثم أخرج ساعده الأيمن. "أنظر إلى ذلك" . على

الساعد، من فوق الرسغ تماماً حتى المرفق، كانت هناك دوائر زرقاء صغيرة حول خروم زرقاء داكنة دقيقة. كانت الدوائر تكاد تمس الواحدة منها الأخرى. قال وليم كامبيل: "ذلك هو التطور الجديد. إنني أشرب قليلاً الآن مرة واحدة بين وهلة وأخرى، لأطرد الذئب من الغرفة فقط".

قال تيرنير: "لديهم علاج لذلك يا 'بيلي المنزلق' ".

قال وليم كامبيل: "لا، ليس لديهم علاج لأي شيء".

قال بيرنير: "لا يمكنك الانسحاب بتلك الطريقة يا بيلي". جلس على السرير.

قال وليم كامبيل: "اعتنِ بملاءتي".

ـ"لا يمكنك الانسحاب في مثل عمرك هذا وتدمن على ضخ نفسك حتى الامتلاء بتلك المادة لأنك ستقع في ورطة".

ـ"يوجد قانون ضد هذا. إذا كان ذلك ما تعنيه".

ـ"لا، أعني أنك يجب أن تقاومه وتخرجه".

داعب بيلي كامبيل الملاءة بشفتيه ولسانه. قال: "أيتها الملاءة العزيزة. أستطيع أن أقبّل هذه الملاءة وأرى تماماً من خلالها في نفس الوقت".

ـ"كفّ عن الكلام عن الملاءة. لا يمكنك الإدمان على تلك المادة يا بيلي".

أغمض وليم كامبيل عينيه. بدأ يشعر بغثيان طفيف. عرف أن هذا الغثيان سيزداد باطراد، دون أن يحس بالراحة منه، حتى يتم عمل شيء ضده. عند تلك النقطة اقترح على السيد تيرنير أن يشرب. رفض السيد تيرنير. أخذ وليم كامبيل شراباً من القنينة.

كـان إجـراءً مـؤقـتـاً. راقـبـه السيد تيرنير. بقي السيد تيرنير في هذه الغرفة مدة أطول بكثير مما يجب أن يبقى فيها، كان لديه الكثير من الأعمال التي يجب أن يقـوم بها؛ ومع أنه يعـيش يومـياً مع أشخاص مـدمنين على المخـدرات، كـان يحس بالرعب من المخـدرات، وكان مـغـرمـاً جـداً بوليم كامبيل؛ لم يرد أن يتركه. كان يأسف جداً من أجـلـه وراوده أمـل في أن الـعـلاج قـد يـسـاعـده. عـرف بـوجـود مـعـالجـات جـيدة في مدينة كانساس. لكن عليه أن يذهب. نهض واقفاً.

قـال وليم كـامبيل: "إسمع يا بيلي. لابد أن أخبرك بشيء . أنتَ تـدعى 'بيلي المنزلق' . ذلك لأنك يمكنك أن تنزلق. أنا أدعى بيلي فـقـط. ذلـك لأنـني لا يمكنني أن أنزلق أبداً. أنا لا أنزلق يا بيلي. أنـا لا أنـزلـق. إنها تمسك فـقط . في كل مـرة أحـاول هذا، تمسك بي" . أغـمض عـينيه. "أنا لا أنزلق يا بيلي. إنه لأمر رهيب حين لا تستطيع الانزلاق" .

قـال 'بيلي المنزلق' تيرنير: "نعم" .

ـ"نعم. ماذا؟" نظر إليه وليم كامبيل.

ـ"كنتَ تقول" .

قـال وليم كامبيل: "لا، لم أكن أقول. لابد أنها غلطة" .

ـ"كنتَ تقـول عن الانزلاق" .

ـ"لا. لا يـمـكـن أن يـكـون هذا عن الانزلاق. لكن اسـمـع يا بـيـلي، وسأخبرك بسر. تمسّك بالملاءات يا بيلي. ابـتـعـد عن النسـاء والخـيل و، وـ". توقفْ. "النسـور يا بيلي. إذا أنتَ أحـببتَ خيلاً، ستنال خـيـلاً ـ وإذا أنتَ أحـببت نسـوراً سـتنال نسـوراً ـ" توقف

ووضع رأسه تحت الملاءة.

قـال ' بيلي المنزلق ' تيرنير: "لابد أن أذهب" .

قـال وليم كـامـبـيل: "إذا أنتَ أحـببتَ نساء فستنال جرعة. إذا أنتَ أحببت خيلاً ـ"

ـ"نعم، قلتَ ذلك" .

ـ" قلتَ ماذا؟ "

ـ"عن الخـيل والنسور" .

ـ"أوه. نـعم. وإذا أنتَ أحـببتَ مـلاءات" . تنفس على الملاءة ومـسح بأنفـه عليـهـا. قال: "أنا لا أعرف شيئاً عن الملاءات. لقد بدأتُ للتو أحبُ هذه الملاءة" .

قال تيرنير : "يجب أن أذهب. لدي الكثير مما يجب عمله" .

قـال وليم كامبيل: "ذلك حسن. الكل لابد أن يذهبوا" .

ـ"يحسن أن أذهب" .

ـ"حسناً، إذهب" .

ـ"هل أنتَ بخير يا بيلي؟ "

ـ"لم أكن سعيداً قط هكذا طيلة حياتي" .

ـ" وأنـتَ بخير؟ "

ـ"أنـا بخير. إذهب. سأسـتلقي هنا لوهلة قـصيرة. عند الظهـر تقريباً سأنهض" .

لكن حين حضر السـيـد تيرنير إلى غـرفة وليم كامبيل ظهراً كان وليم كـامـبـيل نائماً ولأن السـيـد تيرنير رجل عـرف أي الأشـيـاء في الحياة قيّمة جداً، لم يوقظه.

اليوم هو الجمعة

ثلاثة جنود رومانيين في حانة في الساعة الحادية عشر ليلاً. توجد براميل حول الحائط. خلف نضد المشرب وقف بائع خمرة عبريّ . عيون الجنود الثلاثة جاحظة قليلاً.

الجندي الأول: جرَّبتَ الأحمر؟

الجندي الثاني: لا، لم أجربه.

الجندي الأول: يحسن أن تجربه.

الجندي الثاني: حسناً يا جورج، سنشرب دورةً من الأحمر.

بائع الخمرة العبري: ها كم يا سادة. ستحبونه. [يضع إبريقاً فخارياً ملأه من أحد البراميل الخشبية] ذلك نبيذ خفيف لذيذ.

الجندي الأول: إشرب جرعة منه أنتَ نفسك [يلتفت إلى الجندي الثالث المنحني على برميل] ما بك؟

الجندي الثالث: عندي مغص .

الجندي الثاني: كنتَ تشرب ماء.

الجندي الأول: جرّب بعض الأحمر.

الجندي الثالث: لا أستطيع شرب السائل اللعين. إنه يسبب حموضة في معدتي.

الجندي الأول: أتيتَ إلى هنا كثيراً جداً.

الجندي الثالث: يا للجحيم، ألا أعرف هذا؟

الجندي الأول: قُل لي يا جـورج، ألا تستطيع أعطاء هذا السيد شيئاً يشفي معدته؟

بائع الخمرة العبريّ: لدي الشيء هنا تماماً.

[يـتـذوق الجـنـدي الـرومـاني الـثـالث الكوب الذي خلطه له بائع الخمرة]

الجندي الثالث: هيه، ما الذي وضعتَه فيه، بعر جمل؟

بائع الخمرة العبريّ: إشرب ذلك كله أيها الملازم. سـيـصلح حالك تماماً.

الجندي الثالث: حسناً، لن يسوء حالي أكثر.

الجندي الأول: خذ فرصتك منه. لقد شفاني جورج قبل أيام.

بائع الخـمرة العبريّ: كـنـتَ في حـال سـيئة أيها الملازم. أنا أعـرف مـا الذي يشـفي معدة سيئة. [يشرب الجندي الثـالث حـتى الثمالة]

الجندي الثالث: يا لعيسى المسيح. [يكشرّ]

الجندي الثاني: ذلك الإنذار الزائف!

الجندي الأول: أوه. لا أعرف. كان جيداً جداً هناك اليوم.

الجندي الثاني: لماذا لم ينزل عن الصليب؟

الجندي الأول: لم يـرغـب في الـنزول عن الصليب. ذلك ليس دوره.

الجندي الثـاني: أرني شـخـصـاً لا يـرغـب في الـنـزول عن الصليب.

الجندي الأول: أوه، جحيم، أنت لا تعرف شيئاً عن هذا. اسأل جورج الواقف هناك. هل ترغب في النزول عن الصليب يا جورج؟

بائع الخمرة العبريّ: سـأخبركم يا سـادة، أنا لم أكن هنالك، إنه أمر لم يثر فيّ أي اهتمام.

الجندي الثاني: إسـمـع، رأيتُ كـثيراً منهم ـ هنا وفي أمـاكن أخـرى كثيرة. إذا أنتَ دللتني في أي وقت على شخص لا يرغب في أن ينزل عن الصليب حين يأزف الوقت ـ أعني حين يحين الحين ـ سأصعد معه.

الجندي الأول: أظن أنه كان جيداً جداً هناك اليوم.

الجندي الثالث: كان على ما يرام.

الجندي الروماني الثاني: أنتما يا فتيان لا تعرفان عمّ أتكلم. أنا لا أقـول إذا كـان جـيداً أم لا. ما أعنيه هو حين يأزف الوقت. حين يبـدأوان مسمرته منذ البداية، لن يوجد واحد منهم لن يوقف هذا إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً.

الجندي الأول: ألم تتابع هذا يا جورج؟

بائع الخمرة العبريّ: لا. لم أولِ هذا أي اهتمام أيها الملازم.

الجندي الأول: اندهشتُ من كيفية تصرفه.

الجندي الثالث: الجـزء الذي لا يعـجـبني هو مـسمرتهم على الصليب. أنتَ تعرف، ذلك لابد أن يؤثر عليك تأثيراً سيئاً جداً.

الجندي الثاني: لـيس ذلك هو السـيىء جـداً، كما كـان حين يرفعونهم في البداية. [يرسم إشـارات الرفع براحـتيّ يديه معاً] حين يبدأ الثقل بجذبهم إلى أسفل. ذاك حين تصيبهم.

الجندي الروماني الثالث: تسوء حال بعضهم إلى درجة كبيرة جداً.

الجندي الأول: ألم أرهم؟ رأيتُ الكثير منهم. أقـول لكما، كـان

جيداً تماماً هناك اليوم.

[يبتسم الجندي الروماني الثاني لبائع الخمر]

الجندي الثاني: أنتَ مسيحي متّمرس أيها الفتى الضخم.

الجندي الأول: أكيد، استمر وأمزح معه. لكن إسمع وأنا أقول لك شيئاً. كان جيداً جداً هناك اليوم.

الجندي الثاني: ما رأيكم ببعض المزيد من الخمر؟

[يرفع بائع الخمرة أنظاره بانتظار طلباتهم. يجلس الجندي الروماني الثالث ورأسه منكس. لا يبدو بحالة جيدة]

الجندي الثالث: لا أريد المزيد.

الجندي الثاني: لاثنين فقط يا جورج.

[يضع بائع الخمرة دورق نبيذ، أصغر من الأخير بحجم واحد. يميل إلى الأمام على نضد المشرب الخشبي]

الجندي الأول: رأيتَ فتاته؟

الجندي الثاني: ألم أكن أقف إلى جانبها تماماً؟

الجندي الأول: إنها جميلة المنظر.

الجندي الثاني: عرفتُها قبل أن يعرفها. [يغمز لبائع الخمر]

الجندي الأول: كنتُ أراها هنا وهناك في البلدة.

الجندي الثاني: كان لديها الكثير من العمل. لم يجلب إليها أبداً حظاً جيداً.

الجندي الأول: أوه. إنه ليس محظوظاً. لكنه بدا لي جيداً جداً هناك اليوم.

الجندي الثاني: ماذا جرى لعُصبته؟

الجندي الأول: أوه. اختفوا. النساءُ فقط ظللن إلى جواره.

الجندي الثاني: كانوا جمهورَ جبناء تماماً. **حين رآوه يصعد** إلى هناك، لم يريدوا أي شيء من هذا.

الجندي الأول: النساء مكثن لصقه تماماً.

الجندي الثاني: أكيد، مكثن لصقه تماماً.

الجندي الأول: رأيتَني أزلق الرمح القديم فيه؟

الجندي الثاني: ستقع في متاعب بفعلك ذلك في أحد الأيام.

الجندي الأول: كان أقل ما استطعتُ فعله له. أخبرك بأنه بدا لي جيداً جداً هناك اليوم.

بائع الخمرة العبرى: يا سادة، تعرفون أن عليّ أن أقفل المحل.

الجندي الأول: سنشرب دورةً أخرى.

الجندي الثاني: ما الفائدة؟ هذا السائل لن يوصلك إلى أي مكان. هيا. لنذهب.

الجندي الأول: دورة أخرى فقط.

الجندي الروماني الثالث [يبتعد عن البرميل] لا، هيا. لنذهب. أحسّ كجحيم الليلة.

الجندي الأول: دورة واحدة فقط.

الجندي الثاني: لا. هيا بنا، سنذهب. تصبح على خير يا جورج. سجّلها على الحساب.

بائع الخمرة: تصبحون على خير يا سادة. **[يبدو قلقاً قليلاً]** لا يمكنكم اعطائي شيئاً على الحساب، أيها الملازم؟

الجندي الثاني: أي جحيم يا جورج! الأربعاء هو يوم الدفع.

بائع الخمرة: حسناً أيها الملازم. تصبحون على خير يا سادة.

[يخرج الجنود الثلاثة من الباب إلى الشارع]

[في الخارج في الشارع]

الجندي الثاني: جورج يهوديّ حقير مثل بقيتهم كلهم.

الجندي الأول: أوه، جورج رجل جيد.

الجندي الثاني: كل رجل يبدو لك جيداً هذه الليلة.

الجندي الثالث: هيا، لنذهب إلى الثكنة. أحسّ كجحيم الليلة.

الجندي الثاني: أمضيتَ وقتاً طويلاً هنا.

الجندي الثالث: لا، ليس ذلك تماماً. إنني أحس كجحيم.

الجندي الثاني: أمضيتَ وقتاً أطول من اللازم هنا. ذلك كل شيء.

قصة تافهة

هكذا أكل برتقالة، باصقاً البذور ببطء. في الخارج، كان الثلج يتحوّل إلى مطر. في الداخل، بدا أن الموقد الكهربائي لا يبثّ حرارة وبعد أن قام عن طاولة الكتابة، جلس على المدفأة. يا للشعور الرائع! هنا، أخيراً، حياة.

مدّ يده نحو برتقالة أخرى. بعيداً في باريس، ضرب ماسكارت داني فَرْش ضربةً طرحته أرضاً في الجولة الثانية. بعيداً في موزوبوتاميا، سقط واحدٌ وعشرون قدماً من الثلج. عَبْرَ العالم في استراليا بعيدة، شحذ لاعبو الكرِكيت الإنجليز عصّي الوِكيت.

هناك قصة رومانسية.

قرأ: اكتشف رعاةُ الفن والأدب المنتدى/Forum. إنه الدليل والفيلسوف والصديق للأقلية المفكّرة. قصص قصيرة حائزة على جائزة ـ هل سيكتب مؤلفوها كتبنا الرائجة غداً؟

ستستمتع بهذه الحكايات الدافئة، المحبوكة محلياً، الأمريكية، نتف من حياة حقيقية عن مزرعة المواشي المكشوفة، في شقة مزدحمة أو بيت مريح، وكلها بروح مرحٍ خفيّ صحيّ.

فكّر: يجب أن أقرأها.

تابع القراءة: أبناء أبنائنا ـ ماذا بهم؟ مَنْ منهم؟ وسائل جديدة يجب اكتشافها لنجد لنا مكاناً تحت الشمس. هل سيتحقق هذا

بالحرب أو بأساليب سلمية؟
أو هل سنرحل كلنا إلى كندا؟
أرسخ اقتناعاتنا ـ هل سيزعزها العلم؟ مدنيتنا ـ هل هي أدنى من أنظمة الأشياء الأقدم عهداً؟
وأثناء هذا، في غابات يوكاتان المتساقط ماؤها والبعيدة، علا صوت خبط فؤوس قاطعي المطاط.
هل نريد رجالاً ضخاماً ـ أو نريدهم مثقفين؟ خذ جويس. خذ الرئيس كوليدج. أي نجم ينبغي على طلاب كلياتنا أن يستهدفوه؟ هناك جاك بريتون. هناك دكتور هنري فان دايك. هل يمكننا المصالحة بين الاثنين؟ خذ قضية الشاب ستربلنج.
وماذا عن بناتنا اللواتي يجب أن يُسبر غورهن؟ نانسي هوثورن مضطرة لأن تقوم بسبرها الخاص في بحر الحياة. بشجاعة وتعقل تواجه المشاكلَ التي تواجه كل فتاة في الثامنة عشرة.
كان كُتيباً ممتازاً.
هل أنتِ فتاة في الثامنة عشرة؟ خذ قضية جان دارك. خذ قضية برناردشو. خذ قضية بيتسي روس.
فكّر في هذه الأمور في ١٩٢٥ ـ هل كانت توجد صفحة مرحة في تاريخ المتطهرين؟ هل كان يوجد جانبان لـِ بوكاهونتاس؟ هل لها بُعد رابع؟
هل الرسم الحديث ـ والشعر ـ فن؟ نعم ولا. خذ بيكاسو.
هل للصعاليك آداب سلوك؟ أطلق عنان عقلك ليغامر.
توجد قصص رومانسية في كل مكان. يتكلم كتّاب المنتدى عن صميم الموضوع، مأخوذين بالمرح والبداهة. لكنهم لا يحاولون أن

يكونوا أذكياء وهم ليسوا طويلي النَفَس أبداً.

عش ملء حياة العقل، منتعشاً بأفكار جديدة، منتشياً برومانسية الأمور غير العادية. وضع الكتيِّب على الطاولة.

وأثناء ذلك، متمدّداً على سرير في غرفة مظلمة في المنزل في ترايانا، استلقى مانويل جارسيا مايرا وأنبوب مثبّت في كل رئة من رئتيه، غارقاً في مرض ذات الرئة. كل الصحف في الأندلس خصصت ملاحق خاصة عن موته، الذي كان متوقعاً منذ بضعة أيام. رجال وأولاد اشتروا صوراً ملوّنه له بالحجم الطبيعي ليتذكروه بها، وأضاعوا الصورة التي كانت لديهم له في ذاكراتهم ناظرين إلى صورته المطبوعة. مصارعو الثيران تنفسوا الصعداء تماماً حين مات، لأنه قام دائماً في حلقة المصارعة بحركات لم يكونوا يستطيعون القيام بها إلا في بعض الأحيان. ساروا كلهم في المطر خلف نعشه وكان وراء النعش مائة وسبعة وأربعون مصارع ثيران يتبعونه إلى المقبرة حيث دفنوه في قبر مجاور لقبر جوسيلتو. بعد الجنازة جلس الجميع في المقاهي بعيداً عن المطر، وبيعت كثير من صور مايرا الملّونة إلى رجال لفّوها ودسوّها لتختفي في جيوبهم.

الآن، أنا أتمدد

في تلك الليلة استلقينا على أرضية الغرفة وأصغيتُ إلى ديدان القز وهي تأكل. تغذّتْ ديدان القز في أرفف أوراق شجر التوت وطيلة الوقت كنتَ تسمعها تأكل وتسمع صوت تساقط روثها على الأوراق. لم أرغب أنا نفسي في النوم لأنني كنتُ أعيش مدة طويلة وفكرةٌ تراودني بأنني إذا أغمضتُ عينيّ في الظلام وتركتُ نفسي ترحل، ستفارق روحي جسدي. ظللتُ على ذلك النحو مدة طويلة، منذ أن انفجرتُ ليلاً وشعرتُ بها تخرج مني وتبتعد عني ثم تعود. حاولتُ ألاّ أفكر فيها، لكن هذه الفكرة بدأتْ تسيطر عليّ منذ ذلك الوقت، في الليالي، تماماً في لحظة إيوائي للنوم، وكنتُ أتمكن من التغلب عليها فقط بعد بذل جهد كبير جداً. هكذا وبينما أنا الآن متأكد تقريباً من أن روحي لن تغادر جسدي، إلا أنني، في ذلك الصيف، لم أرغب في أن أُجري التجربة.

لدي طرق مختلفة في إشغال نفسي وأنا أتمدد مستيقظاً. كنتُ سأفكر في جدول سمك الطروته الذي اصطدتُ فيه وأنا فتى يافع وأصطاد على طوله كله بحرص شديد في ذهني؛ مصطاداً بحرص شديد تحت كل زنود الخشب، عند كل دورانٍ للضفه، في الحفر العميقة والامتدادات الضحلة الصافية، أحياناً ممسكاً بسمك الطروته وأحياناً مضيّعاً إياها. كنتُ سأكفّ عن صيد السمك **ظهراً**

لتناول غـدائي؛ أحـيـاناً على زند خـشب فـوق الجدول؛ أحياناً على ضـفـةٍ عـالـيـة تحت شـجـرة، وكنت آكل دائما غـدائي ببطء شـديد وأراقبَ الجـدول تحـتي وأنا آكل. غـالـبـاً مـا كـان الطُعم ينفـد مني لأنني كنتُ آخـذ مـعي عشر ديدان فـقط أضـعها في علبة تبغ حين أبدأ. حين كنتُ استـعملها كلها يكون عليّ أن أجد ديداناً أخرى، وأحـيـاناً كـان من الصـعب جـداً الحفر في ضفة الجدول حيث تُبعد أشـجـارُ الأرز الشـمسَ عن المكان ولم يكن هناك أي عـشب سوى الأرض الجـرداء الرطبـة وغـالباً ما كنتُ لا أعثر على أي ديدان. مع أنني أجـدُ دائماً نوعـاً من الأطعم، لكن، ذات مـرة في المستنقع، لم أجـد أيَ طُعـم إطـلاقـاً فـكان عليّ أن أقطع واحـدة من الطروتات أمسكتُ بها واستعملتُها كطعم.

أحـيـاناً كنتُ أجـد حشرات في مـروج المسـتنقع، في العشب أو تحت نبـات السرخس، فأسـتـعملها. كانت هناك خنافس وحشرات بـأرجل تشـبـه سـيـقـان العـشب، ودويدابت في زنود خـشب عـفنة قـديمة؛ ودويدات بيضاء برؤس سمراء مدببة لم تكن تعلق بالصنّارة وتتـحلل وتتـلاشى بالماء البـارد، وقـرّادات خشب تحت زنود خشب حـيث أجـد أحـيـاناً ديداناً ملتـوية على شكل زوايا تنزلق إلى داخل الأرض حـالمـا يُرفـع زند الخـشب. ذات مـرة استـعـملتُ سـمندراً انتـزعـتـه من تحت زند خـشب قـديم. كـان السَمَنْدر صـغيراً جـداً ودقـيـقـاً وخـفـيف الحـركـة وذا لون جميل. كـانت له أقـدام دقـيقة حـاولتْ أن تمسك بالصنّارة، وبعـد هذه المرة لم استـعمل السمندر قط، مع أنني عـثـرتُ عليـه كثيراً. كما لم استعمل الجداجد، بسبب طريقـة تصّرفها حيال الصنّارة.

أحـيـاناً كـان الجـدول يجري داخل مرج مكشوف، وفي العشب الجـاف كنتُ أمسك بجنادب واستعملها كطُعم وأحياناً كنتُ أمسك بجنادب وأرمـيـهـا في الجـدول وأراقـبها تطفو سابحةً إلى الأمام على الجـدول ودائرة على السطح والتيـار يجرفـهـا ثم تختـفي حين ترتفع سـمكة طروته. أحياناً كنتُ أصيد في أربعة أو خمسة جداول مختلفة في الـلـيل؛ مـبـتـدئاً من أقـرب مـصـدر لها يمكنني الوصـول إليـه فأصطادها حـتى أسفل الجدول. حين كنتُ انتهي من الصيد بسرعة والوقت لا يزال مـبكّراً، كنتُ أصطاد في الجـدول نفسه مرة أخرى، مـبـتـدئاً مـن حـيـث يصبّ في البـحيرة واصطاد متراجـعـاً إلى أعلى الجـدول، محـاولاً اصـطـيـاد كـل الطروته التي فـاتتني وأنا أتجـه إلى أسـفله. في بعض الليـالي أيضـاً كنتُ أخترع جداول، وكان بعضها مـثيراً جـداً، وكـان الوضع كما لو كنتُ مـستيقظاً وأنا أحلم. بعض تـلك الجـداول لا أزال أتذكـرها وأظن أنني اصطدتُ فـيـهـا، وهي مختلطة مع جـداول أعـرفـهـا حقاً. أطلقتُ عليها كلها أسماءً وزرتها بالقطار وأحياناً قطعتُ أميالاً لأصل إليها.

لكن، في بعض الليالي لم أستطع صيد السمك، وفي تلك الليالي كـنـتُ أبقى سـاهراً تمامـاً فأردد صلواتي مـراتٍ عـديدة وأحـاول أن أصلي من أجل كل الناس الذين سـبق وعرفتُهم في حياتي. استغرق ذلـك وقـتـاً طـويلاً، لأنك إذا أنتَ حـاولتَ أن تتـذكـر كل الناس الذين عـرفـتَهم في حياتك، عائداً القهقرى إلى أقصى ما تتذكره في الماضي ـ الذي كـان، بالنسبة إلّي، عليّة البيت حيث ولدتُ وكعكة زفـاف أمـي وأبي مـوجـودة في صـنـدوق صـفـيـح يـتـدلى من أحـد الأرفف، وفي العلّيـة، جـرار أفـاعي وعيّنات أخرى جمعها أبي حين

كـان فـتى وحـفظها في كحول، الكحول غاطس في الجرار حتى أن ظهـر بعض الأفـاعي والعـينّات تعـرّضت للهواء فتحوّلت إلى اللون الأبيض - إذا عـدتَ بأفكارك إلى ذلك البُعـد، أنتَ تتذكر كثيراً جداً من الناس. إذا صليتُ من أجلهم كلهم، مـرددا: السلام عليكِ يا مريم و أبانا الذي في السماء لكل واحد، سيستغرق هذا وقتاً طويلاً وأخـيراً سـيـعـمّ الـنـور، وعندئذٍ تستطيع أن تنام، إذا كنتَ حـيث يمكنك النوم في نور النهـار.

في تلك الليـالي حاولتُ أن أتذكر كل ما وقع لي، مبتدئاً تماماً بما قـبل ذهابي إلى الحـرب ومـتذكراً الماضي ذكرى بعد أخرى. وجدتُ أنني أستطيع العـودة بذكـرياتي فقط إلى تلك العلّية في بيت جدي. ثم انطلق من هناك وأتذكـر على هذا النحـو ثانيـة، حـتى أصل إلى الحرب.

تذكـرتُ، بعـد أن مـات جـدي انتقلنا من ذلك المنزل إلى منزل جـديد صـمّمـتْه وبنتْه أمي. أشـياء كثيرة لم تكن ستُنقل أُحرقتْ في الـفـناء الخلفي وأتذكـر تلك الجـرار من العلّيـة وهي تُلقى في النار، وكـيف فـرقـعتْ في الحـرارة والنار تلتهب عالياً من الكحول. أتذكر الأفاعي تحترق في النار في الفناء الخلفيّ. لكن لم يكن هناك ناس في تلك الذكـريات، فـقط أشـياء. لم أتذكر مَنْ أحرق الأشياء، وكنتُ أستمر حتى أصل إلى ناس وعندئذ أتوقفّ وأصلي من أجلهم.

عن المنزل الجـديد تذكـرتُ كـيف كانتْ أمي دائماً تنظّف الأشياء وتجـعلهـا لامـعةً جيداً. ذات مرة حين كان أبي في رحلة صيد قامت بتنظيف دقـيق في القـبـو وأحـرقتْ كل ما لا يجب أن يكون هناك. حين عـاد أبي إلى المنزل وهبط من عـربتـه البـوجي وربط الحـصان،

كـانت النار مـا تزال تشـتـعل في الطريق إلى جانب المنزل. خرجتُ لأقـابله. ناولني بندقية الرش ونظر إلى النار. سأل: "ما هذا؟"

قـالتْ أمي من شرفـة المدخل: "كنتُ أنظف التـسـوية/ القـبو يا عـزيزي". كانت تقف هناك مبتسمة، لاستقباله. نظر أبي إلى النار وركـل شـيئاً. ثـم انـحـنـى والـتـقـط شـيئاً مـن بين الرمـاد. قـال لي: "أحضر مـشط أرض يا نِك". ذهبتُ إلى القبو وأحضرتُ مشط أرض وقلّب أبي بحـرص شـديد الرمـاد. أخـرجَ فـؤوسـاً حـجرية وسكاكين قـشط حـجـرية وأدوات لصنع رؤوس السـهـام وقطعاً من الـفـخّار وكـثـيراً مـن رؤوس الـسـهـام. كـانت كلهـا قـد اسـوّدتْ وتشـقـقت بالنار. مـشطها أبي كلها وأخرجها بحرص شديد ونشرها على العـشب إلى جـانب الطريق. كـانت بندقـيـة الرش في جـرابها الجلديّ وأكـيـاس الطرائد على العـشب حـيث تركـها حين نزل من عربة البوجي.

قـال: "أدخِل البندقـيـة والأكـياس إلى المنزل يا نِك، وأحضر لي جـريدة". كـانت أمي قـد دخلتْ المنزل. أخـذتُ البندقـيـةَ، التي كـانت ثقيلة على الحَمْل واصطدمتْ برجلّي وكيسّي الطرائد وانطلقتُ إلى البـيت. قـال أبي: "خُذْها واحـدة واحـدة. لا تحـاول أن تحـمل الـكـثـير جـداً مـرة واحـدة". وضـعتُ كـيسّي الطرائد على الأرض وأخـذتُ البندقـيـة إلى المنزل وأخرجتُ جريدة من الكومة في مكتب أبي. نشر أبي كل الأدوات الحـجـرية المسودّة المشققّة على الجريدة ثم لفّهـا. قـال: "أفـضل رؤوس سـهـام تكسرّت إلى قطع صـغيرة". دخل المنزل ومـعـه لفّة الجـريدة وبقـيتُ في الخـارج على العُشب مع كـيسّي الطرائد. بعد هنيهة، أدخلتها. وإذ أتذكر ذلك، كان هناك

شخصان اثنان فقط، فصليتُ من أجلهما كليهما.

في بعض الليالي، مع هذا، لم أستطيع أن أتذكر حتى صلواتي. أصل إلى: 'في الأرض كما في السماء' ثم كان لابد أن أبدأ من جديد وأعجز تماماً عن تجاوز تلك العبارة. عندئذٍ أدرك أنني لا أستطيع التذكّر فأتخلى عن ترديد صلواتي في تلك الليلة وأحاول شيئاً آخر. على هذا النحو في بعض الليالي أحاول أن أتذكر كل الحيوانات في العالم بالاسم ثم الطيور ثم الأسماك ثم الأقطار والمدن ثم أنواع الطعام وأسماء كل الشوارع التي أستطيع أن أتذكرها في تشيكاجو، وحين لا أعود أستطيع أن أتذكر أي شيء إطلاقاً أصغي فقط. وأنا لا أتذكر ليلةً لا تَسمع فيها أشياء. لو كان لدي نور لما خفتُ أن أنام، لأنني أعرف أن روحي ستخرج مني فقط إذا كان الظلام مخيماً. لذلك، طبعاً، كنتُ في ليالٍ كثيرة حيثُ يمكنني أن أحصل على نور فكنتُ أنام عندئذٍ لأنني أكون دائماً متعباً تقريباً وغالباً ما أكون شديد النعاس. وأنا متأكد من أنني في كثير من الأوقات أيضاً نمتُ دون أن أدرك هذا ـ لكنني لم أنَمْ قط وأنا أدرك هذا، وفي هذه الليلة أصغيتُ إلى ديدان القز. تستطيع أن تسمع ديدان القز وهي تأكل بوضوح تام في الليل فأتمدد وعيناي مفتوحتان وأصغي إليها.

كان في الغرفة شخص آخر فقط وكان مستيقظاً أيضاً. أصغيتُ إليه وهو مستيقظ، لمدة طويلة. لا يمكنه الاستلقاء هادئاً كما يمكنني هذا لأنه، ربما، ليستْ لديه ممارسة كبيرة في السهر كما هي حالي. كنا نستلقي على بطانيات فُرشتْ فوق قش وحين كان يتقلّب كان القش يصدر ضجّةً، لكن ديدان القز لم تكن تخاف من

أي ضجة نثيرها وتروح تأكل باطراد. كانت هناك ضجة الليل تصدر من على بُعد سبعة كيلومترات خلف خطوط القتال في الخارج لكنها كانت مختلفة عن الضجة الطفيفة داخل الغرفة في الظلام. حاول الشخص الآخر في الغرفة الاستلقاء بهدوء. ثم تقلّب مرة أخرى. تقلّبتُ أنا أيضاً، حتى يعرف أنني كنتُ مستيقظاً. كان قد عاش عشر سنوات في تشيكاجو. أخذوه للجندية في سنة ألف وتسعمائة وأربع عشرة حين رجع لزيارة عائلته، فألحقوه بي ليكون جندياً تابعاً لي لأنه يتكلم الإنجليزية. سمعته يصغي، لذلك تقلّبتُ مرة أخرى في البطانيات.

سأل: "ألا تستطيع النوم يا سِنيور تينيتتي؟"

ـ"لا".

ـ"أنا لا أستطيع النوم كذلك".

ـ"ما الأمر؟"

ـ"لا أعرف. لا أستطيع النوم".

ـ"هل صحتك جيدة؟"

ـ"أكيد. صحتي جيدة. أنا فقط لا أستطيع النوم".

سألتُ: "تريد أن تتكلم لوهلة؟"

ـ"أكيد. عمّ يمكنك الكلام في هذا المكان اللعين".

قلتُ: " هذا المكان جيد تماماً".

قال: "أكيد. إنه على ما يرام".

قلتُ: "أخبرني عن الحياة في تشيكاجو".

قال : "أوه. أخبرتكَ عن كل ذلك في السابق".

ـ"أخبرني كيف تزوجتَ".

ـ "أخبرتُك بذلك".

ـ "هل كانت الرسالة التي استلمتَها يوم الاثنين ـ منها؟"

ـ "أكيد. إنها تكتب إليّ طوال الوقت. إنها تكسب مالاً جيداً من المحل".

ـ "سيكون لك محل جيد حين تعود".

ـ "أكيد. إنها تديره جيداً. إنها تكسب كثيراً من المال".

سألتُ: "ألا تظن أننا سنوقظهم، ونحن نتكلم؟"

قال: "لا. إنهم لا يسمعون. على أي حال، إنهم ينامون مثل الخنازير. أنا مختلف. أنا عصبيّ".

قلت: "تكلم بهدوء. تريد أن تدخن؟"

دخنا بمهارة في الظلام.

ـ "أنتَ لا تدخن كثيراً يا سِنيور تينينتي".

ـ "لا. أنا على وشك أن أقطعه".

قال: "حسناً. إنه لا يقدّم إليك أي فائدة وأظن أنك بفعلك هذا لن تفتقده. هل سمعتَ عن أعمى لا يدخن لأنه لا يرى الدخان يخرج منه؟"

ـ "لا أصدق هذا؟"

قال: "أنا نفسي أظن أنها كلها تافهة. سمعتُ هذا في مكان ما. أنتَ تعرف كيف تسمع عن الأشياء".

هدأنا كلانا وأصغيتُ إلى ديدان القز.

سأل: "أنتَ تسمع ديدان القز اللعينة تلك؟ تستطيع أن تسمعها تمضغ".

قلت: "هذا مضحك".

ـ"قل لي يا سِنيـور تينينتي، هل هناك في الأمر شيء حقاً يجعلك لا تستطيع أن تنام؟ لم أركَ قط تنام. لم تنم في أي ليلة منذ أن كنتُ معك".

قلت: "لا أدري يا جـون. ساءتْ أحوالي في أوائل الربيع الماضي وفي الليل يقلقني هذا".

قـال: "تماماً مـثلي أنا. كان يجب ألاّ أشترك في هذه الحرب. أنا عـصبيّ المزاج أكثر من اللازم".

ـ"قد تتحسن الأحوال".

ـ"قُل يا سِنيـور تينينتي، لأي غـرض اشتركتَ في هذه الحـرب، على أي حال؟"

ـ"لا أعـرف يا جون. أردتُ أن أشترك، حينذاك".

قال: "أردتَ، ذلك سبب جهنمي".

قلتُ: "علينا ألاّ نتكلم بصوت عالٍ".

قـال: "إنهم ينامـون كـالخنازير تمامـاً. إنهم لا يفـهـمـون اللغـة الإنجليـزية على أي حـال. إنهم لا يفـهـمـون شيئاً لعيناً. ما الذي سـتفعله حين تنتهي الحرب وتعود إلى الولايات المتحدة؟"

ـ"سأجد عملاً في جريدة".

ـ"في تشيكاجو".

ـ"ربما".

ـ"هل قـرأتَ في أي يوم مـا يكتبـه ذلك الشـخص بريسـبـان؟ زوجـتي تقطعه لي وترسله إليّ".

ـ "أكيد".

ـ"هل سبق أن قابلتَه؟"

ـ "لا، لكنني رأيتُه".

ـ أود أن ألتقي بذلك الشخص. إنه كاتب جيد. زوجتي لا تقرأ الإنجليزية لكنها تشتري الجريدة تماماً كما كانتْ تفعل حين كنتُ في البيت وتقصّ الافتتاحيات وصفحة الرياضة وترسلها إلّي".

ـ "كيف هم أطفالك؟"

ـ "إنهم جيدون. واحدة من البنات في الفصل الرابع الآن. أنتَ تعرف يا سِنيور تينينتي، لو لم يكن لديّ أطفال لما أصبحتُ مرافقك الآن. لكانوا أبقوني في خط القتال طيلة الوقت".

ـ "أنا مسرور لأن لديك أطفال".

ـ "كذلك أنا. إنهم جيدون لكنني أريد ولداً. ثلاث بنات ولا ولد. إنها نغمة جهنمية".

ـ "لماذا لا تحاول أن تنام؟"

ـ "لا، لا أستطيع النوم الآن. أنا مستيقظ تماماً يا سِنيور تينينتي. قُل: أنا قلق عليك لأنك لا تنام أيضاً".

ـ "ستتحسن الأمور يا جون".

ـ "تخيّل شاباً مثلك لا ينام".

ـ "ستتحسن حالي. سيستغرق هذا مدة من الزمن".

ـ "يجب أن تتحسن. لا يتحسن إنسان لا ينام. هل أنتَ قلق على أي شيء؟ لديكَ أي شيء في ذهنك؟"

ـ "لا يا جون، لا أظن هذا".

ـ "يجب أن تتزوج يا سِنيور تينينتي. عندئذ لن تقلق".

ـ "لا أعرف".

ـ"يجب أن تتـزوج. لماذا لا تختـار فتاةً إيطالية جميلة تملك الكثير من المال؟ تسـتطيع الحـصـول على أي واحـدة تريدها. أنتَ شـاب وحـزتَ على أوسـمة جيدة وتبدو رائعاً. أصبتَ بجرح مرتين".

ـ"أنا لا أتكلم اللغة جيداً إلى حد كافٍ".

ـ"أنتَ تتكلمـها جيداً. إلى الجحيم بالكلام باللغة. ليس عليك أن تتكلم إليهن. تزوجهن".

ـ"سأفكّر بهذا".

ـ"أنتَ تعرف بعض الفتيات، أليس كذلك؟"

ـ"أكيد".

ـ"حـسناً، تزوّج واحـدة مـعـها مال أكثر. هنا، حسب الطريقة التي رُبين عليها، سيكنّ زوجات جيدات".

ـ"سأفكّر في هذا".

ـ"لا تفكّر فيه يا سِنيور تينينتي. إفعله".

ـ"تمام".

ـ"الـرجـل يجـب أن يـتـزوج. لن تندم أبداً على هذا. كل رجل يجب أن يتزوج".

قلتُ: "حسناً. لنحاول أن ننام لوهلة".

ـ"حـسناً يا سِنيـور تينينتي. سأحاول مرة أخرى. لكن تذكر ما قلتُه".

قلتُ: "سأتذكره. الآن لننم لوهلة يا جون".

قال: "حسناً. آمل أن تنام يا سِنيور تينينتي".

سـمـعتُه يتقلّب في بطانياته على القش ثم هدأ تماماً وأصغيتُ إليه يـتـنفس بانتظام. ثم بدأ يغط. أصـغـيتُ إليـه يغطّ لمدة طويلة ثم

كـففتُ عن الإصغاء إليه يغطُ وأصغيتُ إلى ديدان القز وهي تأكل. أكلتْ بانتظام، مخرجـةً روثهـا في أوراق الشـجـر. أصبح لدي شيء جـديد أفكر فـيـه فظللتُ مـسـتلقـيـاً في الظلام وعـيناي مـفتوحتان وفـكـرتُ بكل الفـتـيـات اللواتي عـرفـتـهن وأي نوعٍ من الزوجـات سـيكنّ. كـان شـيئاً مـشـوّقـاً جـداً التفكير فيهن ولوهلة قتلن صيدَ الطروته وتدخلن بصلواتي. لكن، أخيراً عـدتُ إلى صـيـد الطروته، لأنني اكـتشفتُ أنني أستطيع أن أتذكر كل الجداول وكان هناك دائماً شيء جديد عنها، بينما الفتيات، بعد أن فكرتُ فيهن مرات قليلة، انطمـسن ولم أسـتطع أن أسـتـدعـيـهن إلى ذهني وأخيراً بهتْن كلهن وأصـبـحن كلهن صورة واحدة إلى حد ما فكففتُ عن التفكير فيهن دفـعـة واحـدة تقـريباً. لكنني استمررتُ بصلواتي فصليتُ كثيراً جداً من أجل جـون في الليـالي وأن يبُـعـد صنفَه عن الخـدمـة العسكرية الميـدانيـة قـبل هجـوم أكـتوبر. سررتُ لأنه لم يكن هناك، لأنه كان سـيـسبب قلقاً عظيماً لي. وقد حضر إلى المستشفى في ميلانو ليزورني بعـد عـدة أشـهـر فأصيب بخيبة أمل كبيرة لأنني لم أكن قد تزوجت بعـدُ، وأنا أعـرف أنه سـيـستاء جداً لو عرف أنني، حتى الآن، لم أتـزوج أبداً. كـان سـيـعـود إلى أمـريكا وكـان مـؤمناً تمامـاً بالزواج ويعرف أنه سيحلّ كلَ شيء.

من أعمال إيرنست همنجواي

روايات :

مهرجان/الشمس تشرق أيضاً
وداعاً للسلاح
أن تملك وألاّ تملك
لمن يدق الجرس
عبر النهر وبين الأشجار
الرجل العجوز والبحر
جزر في التيار
جنة عدن
حقيقيّ عند النور الأول

قصص وروايات قصيرة

المجموعة الأولى/في زماننا، ثلوج كِليمانجارو وقصص أخرى
المجموعة الثانية/رجال بلا نساء
المجموعة الثالثة/حياة فرانسس ماكومبرِ القصيرة السعيدة، الفائز لا ينال شيئاً
المجموعة الرابعة/قصص نِك آدمز
المجموعة الخامسة/سيول الربيع وقصص عن إسبانيا

كتابات عامة

موتٌ بعدَ الظهر
تلال أفريقيا الخضراء
وليمة متنقلة
خطٌ جانبيّ

مسرح

الطابور الخامس

روايات عالمية

رجال بلا نساء

يتميّز أسلوب همنجواي بالبساطة المفرطة ، فجمله قصيرة بسيطة التركيب وتكاد تقتصر على تصوير الواقع المحسوس والحركة المرئيّة ، كما يلعب الحوار دوراً أساسيّاً في نقل الأجواء المحيطة بالشخوص القصصيّة والروائيّة ، بل هو يدع الشخصيّة تقدّم نفسها عن طريق تحرّكاتها وانفعالاتها الظاهرة وما تردّده من كلام ، وهنا يبرز دور القارئ في خلق الصورة الّتي أراد المؤلّف تصويرها ، فيشارك في خلق هذه الشخصيّة مع مبدعها الأصليّ : المؤلّف .

وهمنجواي مولع بمصارعة الثيران وأبطالها ، وقد كرّس سنين عديدة من حياته الأدبيّة في كتابة « ***موت بعد الظهر*** » ، الّذي حلّل فيه مصارعة الثيران في إسبانيا وخارجها . كما أفرد في نهاية هذا الكتاب عشرات الصفحات في وضع مصطلحات مصارعة الثيران بالإسبانيّة أمام القارئ العاديّ موضّحاً معاني هذه المصطلحات بتفصيل واسع وشرح دقيق على شكل مسرد مفصّل . لذلك لا يمكن لأيّ مترجم ، مهما اتّسع باعه في ميدان الترجمة ، أن يترجم روايات همنجواي أو قصصه القصيرة المصوّرة لهذه المصارعة دون الرجوع إلى هذا الكتاب الموسوعة في هذا المجال .

في هذه المجموعة أربع عشرة قصّة ، تعالج كلّ منها الخشونة الذكوريّة الّتي لا يليّنها تأثير المرأة ؛ والثيمات / الموضوعات فيها مألوفة في أعمال همنجواي . وقد أصبحت مجموعة « ***رجال بلا نساء*** » حجر الزاوية في أعمال همنجواي ، فبعد أن ثبّتت رواية « ***الشمس تشرق أيضاً*** » أقدامه كروائيّ ذي قوّة استثنائيّة ، أظهرت هذه القصص أنّ من الممكن ، في نطاق بضع صفحات ، إعادة خلق مشهد كخفقة مطلقة ، وبثّ الحياة في تفاصيل لا تلاحظها سوى عين فنّان فريد الموهبة .



الأهلية للنشر والتوزيع
e-mail:alahlia@nets.jo
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٤٦٣٨٦٨٨
فاكس ٤٦٥٧٤٤٥ ◆ منشوراتنا في العام ٢٠٠٣م
◆ الغلاف : زهير أبو شايب . ®